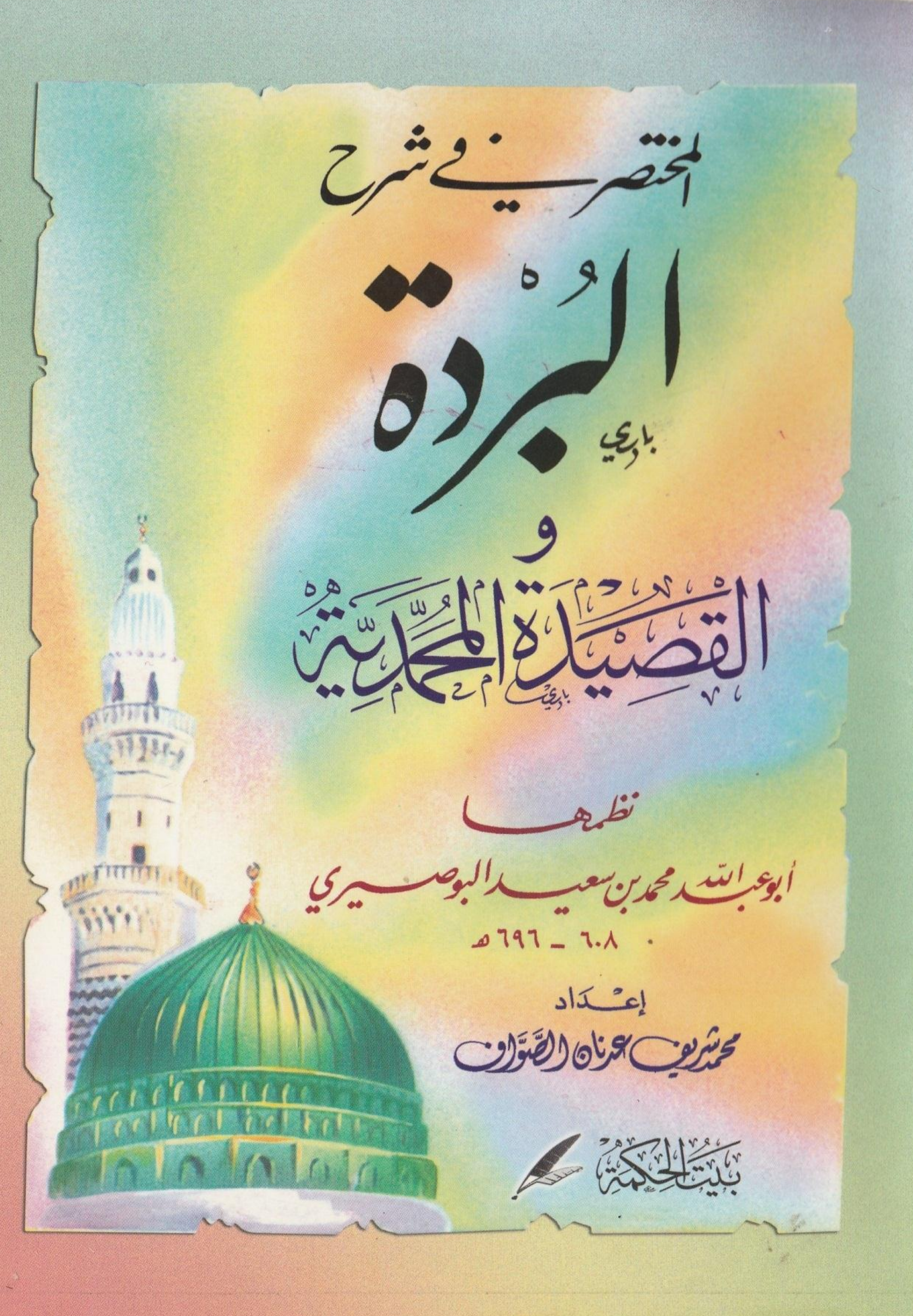
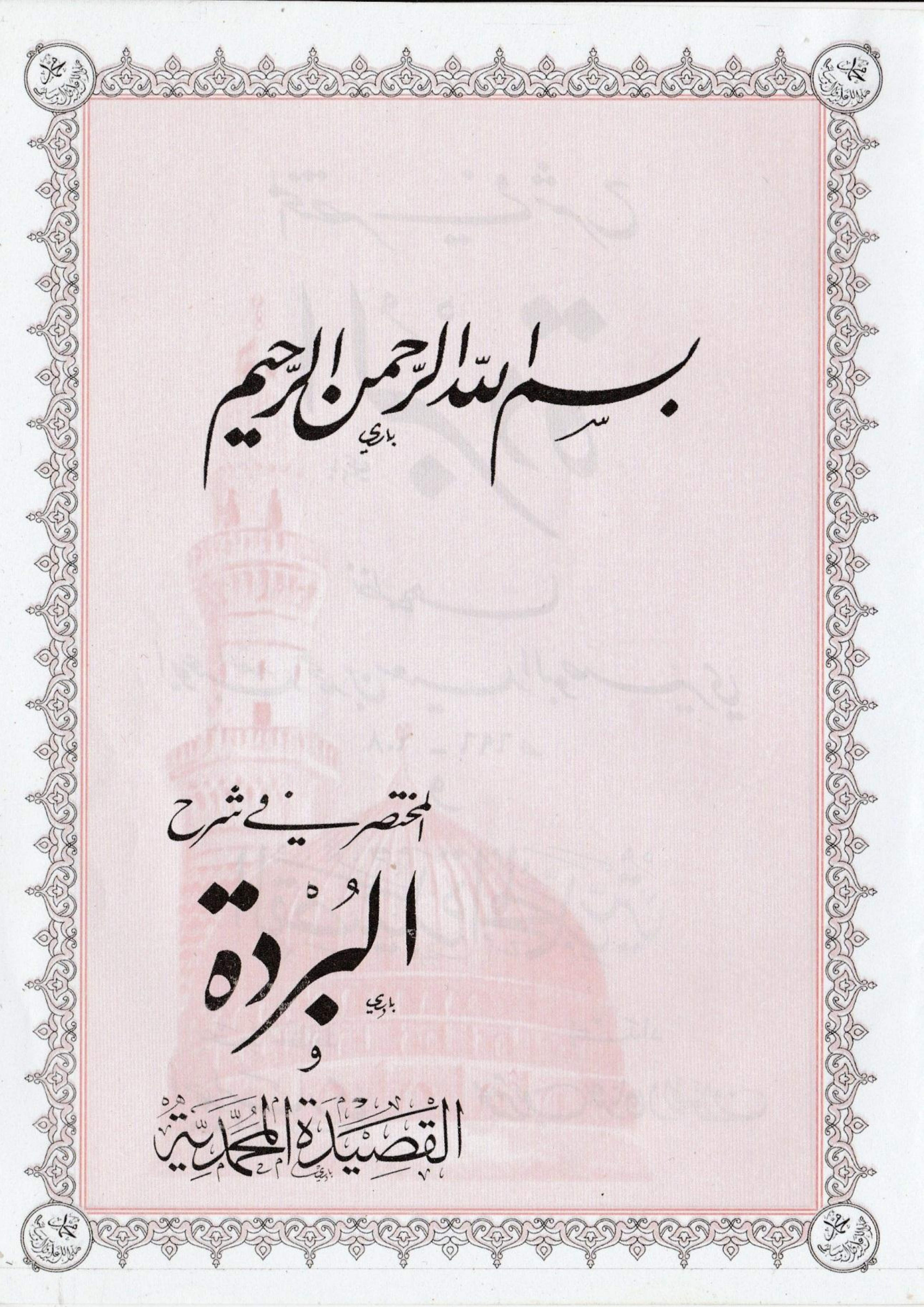
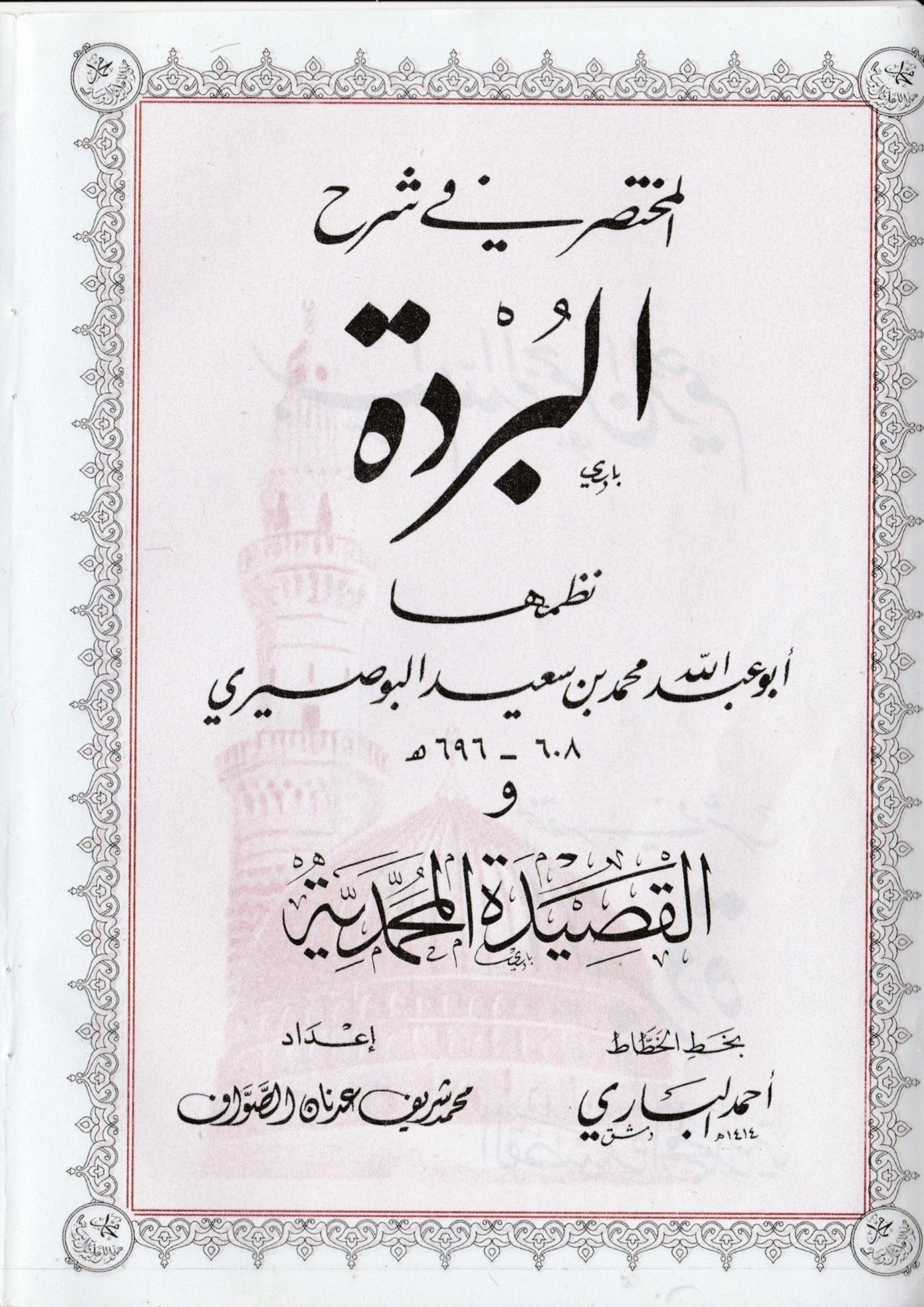

المختصر في شرح
البردة
و
القصيدة المحمدية
نظمها
أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري
٦٠٨ - ٦٩٦ هـ
إعداد
محمد شريف عدنان الصواف
بيت الحكمة


بسم الله الرحمن الرحيم
المختصر في شرح
البردة
و
القصيدة المحمدية



المختصر في شرح

البردة

نظمها

أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

٦٠٨ - ٦٩٦ هـ

و

القصيدة المحمدية

بخط الخطاط

أحمد الباري

دمشق ١٤١٤هـ

إعداد

محمد شريف عدنان الصوّاف

رسول الله

محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

اللهم صل على سيدنا محمد
الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق
ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم

اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين
وذريته، وآله، كما صليت على آل إبراهيم

الطبعة العاشرة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥ م

الطبعة السادسة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م

بيت الحكمة للطباعة والتوزيع والنشر

سورية - دمشق - موبايل : ٠٩٣٧٩٣٢١٤

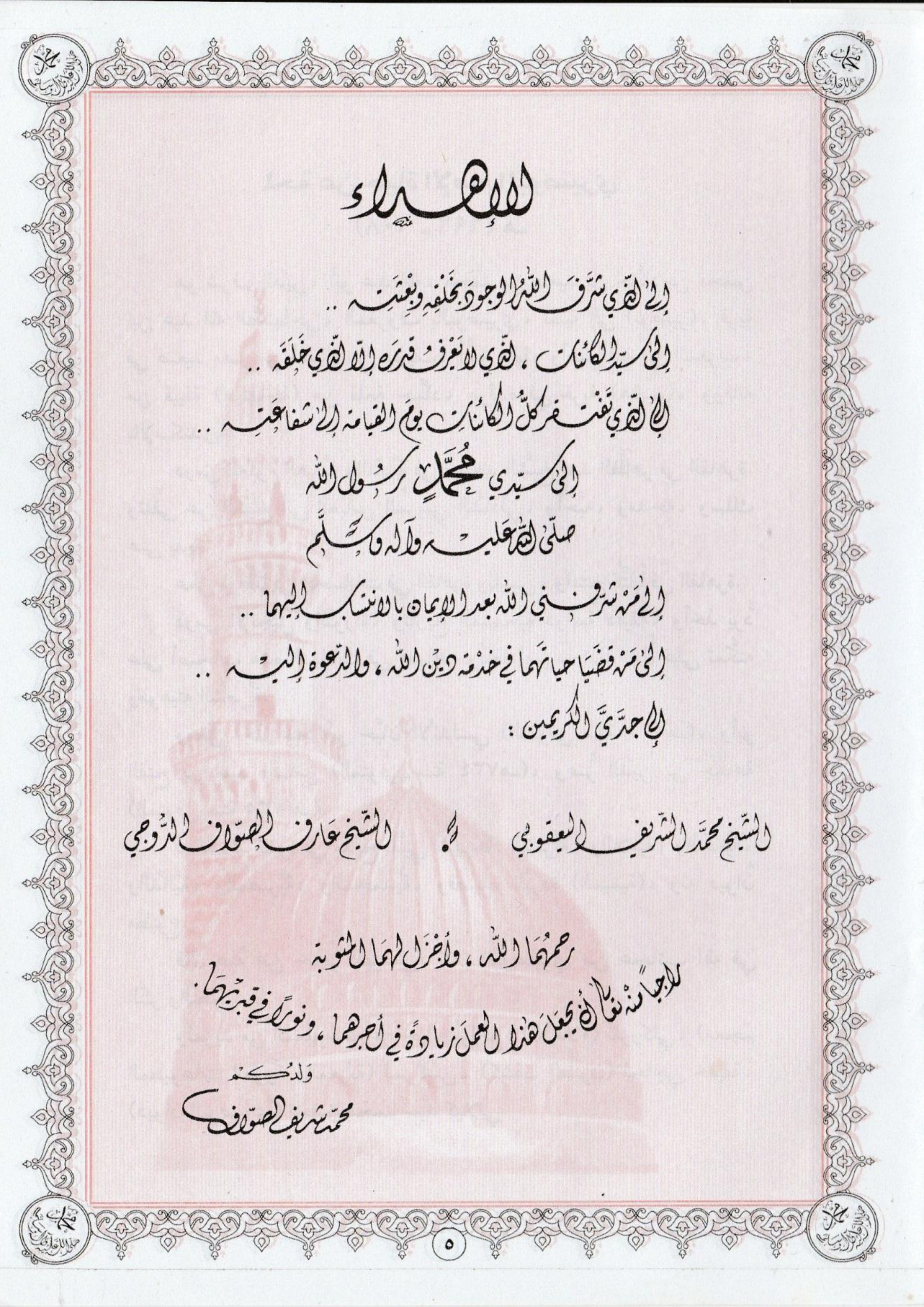
E-mail: bait al-hikmah@shuf.com

المختصر في شرح البردة / تأليف البوصيري ؛ إعداد محمد شريف عدنان الصَّوّاف الدّوجي ؛ كتبها أحمد الباري . - دمشق - دار السنابل ، ١٩٩٣م - ٦٤ ص ؛ ٢٢ سم ١٠ - ١،٠٦، ٨١١ ب و ص م ٢ - ٢١٨،٣٧ ب و ص م ٣ - العنوان ٤ - البوصيري ٥ - الصواف الدوجي

مكتبة الأسد

الإيداع القانوني

ع - ٨٩٧ / ٩ / ١٩٩٣



الإهداء

إلى الذي شرّف الله الوجود بخلقه وبعثته ..

إلى سيد الكائنات ، الذي لا يعرف قدره إلا الذي خلقه ..

إلى الذي تفتقر كل الكائنات يوم القيامة إلى شفاعته ..

إلى سيدي محمدٍ رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم

إلى من شرّفني الله بعد الإيمان بالانتساب إليهما ..

إلى من قضيا حياتهما في خدمة دين الله ، والدعوة إليه ..

إلى جديَّ الكريمين :

الشيخ محمد الشريف اليعقوبي و الشيخ عارف الصواف الدوجي

رحمهما الله ، وأجزل لهما المثوبة

لا جاً إليه تعالى أن يجعل هذا العمل زيادة في أجرهما ، ونوراً في قبريهما .

ولدكم

محمد شريف الصواف

لمحة عن حياة الإمام البوصيري
(٦٠٨ ـ ٦٩٦) هـ

هو شرف الدّين، أبو عبد الله، محمَّد بن سعيد بن حمَّاد بن محسن ابن عبد الله الصَّنهاجيّ، المعروف بالبوصيري، نسبةً إلى (بوصير)، قرية في صعيد مصر من أعمال بني سويف؛ أُمُّه منها، وأصل أبيه من المغرب، من قبيلة (صنهاجة) من قلعة حمَّاد، مولده في قرية (هشيم)، ووفاته بالإسكندريَّة.

درس العلوم العربيَّة والدّينيَّة في مسجد الشَّيخ عبد الظَّاهر في القاهرة. وتلقَّى عن الشَّيخ أبي العبَّاس المُرسي الشَّاذلي، وأحبَّه، ومدحه، وسلك على يديه.

عمل موظّفاً في الحسابات في القاهرة وبلبيس، وافتتح كُتَّاباً في القاهرة.

درس الإنجيل والتّوراة، وتاريخ المسيحيَّة دراسةً دقيقةً، وأخذ يردُّ على أصحاب هذه الديانات في قصائده ويُجادلهم مجادلةً تدلُّ على تمكُّنه وموهبته الشِّعريَّة.

وممن أخذ عنه: أبو حيَّان الأندلسي (المتوفَّى سنة ٧٢٥هـ)، وأبو الفتح بن سيّد النَّاس (المتوفَّى سنة ٧٣٤هـ)، وعزُّ الدّين بن جُماعة (المتوفى سنة ٧٣٥ هـ).

له قصائد كثيرة في مديح النَّبي أشهرها: الهمزيَّة، واللاميَّة، والحائيَّة، والدَّاليَّة، والمُضريَّة، والمحمَّديَّة، وقصيدة البُردة (الميمية)، وله ديوانٌ مطبوع.

قال عنهُ ابن حجر الهيتميّ: كان البوصيريّ من عجائب الله في النَّثر والنَّظم.

ولمزيد من المعلومات عن حياته يُراجع: (الأعلام) للزركلي، (معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة) لسركيس، (كشف الظُّنون) لحاجي خليفة، (ديوان البوصيريّ) تحقيق محمّد سيّد كيلاني.



المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وأفضل الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فالحمد لله الذي جعلنا من المسلمين، وأكرمنا بأنْ كنَّا من أُمَّة سيِّد الأوَّلين والآخرين، محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجعل محبَّة النَّبيِّ وآله أوَّل أساسٍ لهذا الدِّين.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يُؤمنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ والِدِه وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». أخرجه البخاري.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَدِّبوا أَوْلادَكُمْ عَلَى ثَلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُمْ، وَحُبِّ آلِ بَيتِه، وَقِراءَةِ القُرْآنِ**». أخرجه ابن النجار.

وانطلاقاً من هذه المحبَّة فقد تبارى الشُّعراء قديماً وحديثاً في التعبير عن محبَّتهم للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قصائد شعرية جاءت في عيون ذخائر الأدب العربي.

يقول الدُّكتور زكي مبارك في كتابه: (المدائح النَّبوية وأثرها في الأدب العربي):

المدائح النَّبويَّة من فنون الشِّعر التي أذاعها التَّصوّف، وهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدِّينيَّة، وباب من الأدب الرَّفيع؛ لأنَّها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصِّدق والإخلاص اهـ.

ومع أنَّ الإمام البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ جاء متأخِّراً عن الشُّعراء الأوائل الذين مَدحوا النَّبيَّ إلاَّ أنَّ قصيدته الميميَّة المسمَّاة بالبردة، تقدَّمت على كل المدائح السَّابقة لها، حتَّى قيل: لم يُمدح النَّبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم بأبلغ ولا أجمل من الميميَّة (البردة) والهمزيَّة وكلاهما للبوصيري رحمه الله تعالى.

وقد تلقَّاها العلماء في مشارق البلاد الإسلاميَّة ومغاربها بالقبول والإجلال، حتَّى إنَّها كانت في الهديَّة التي قدَّمها العلاّمة ابن خلدون إلى تيمورلنك، وكان الأمير المُجاهد عبد القادر الجزائري قد كتب على رايته هذا البيت منها:

وَمَنْ تَكُنْ برَسول اللهِ نُصْرَتُهُ إنْ تلْقَهُ الأُسدُ في آجامِها تَجِمِ

وقد اهتم بشرحها كبار علماء المسلمين، وبلغت شروحها العشرات بين مطول ومختصر.

وكان علماء الأزهر يُخصِّصون درساً يوم الخميس، يقرؤون فيه البُردة في جلالة ومهابة عظيمة، ويحضره جمٌّ غفيرٌ من محبّي الرَّسول صلوات الله وسلاماته عليه.

وفي بلاد المغرب العربي كلّها يُخصّص شيوخ الطُّرق الصّوفيَّة مجالس خاصَّة لقراءة البُردة يحضرها كبار العلماء.

وكذلك الأمر في البلاد الإسلاميَّة في الشَّرق الأقصى، مثل إندونيسيا، وماليزيا، وبروناي.

وفي الشّام كانت تُعقد مجالس متنقّلة في البيوت لتلاوة البُردة، يحضرها أكابر علماء دمشق؛ من أمثال: الشيخ محمَّد الشَّريف اليعقوبي، والشّيخ محمّد المكّي الكتّاني، والشَّيخ محمَّد الهاشمي، والشيخ زين العابدين التّونسي، والشَّيخ محمَّد علي الدَّقر، والشَّيخ محمود ياسين

(الحمامي)، والشَّيخ عارف عثمان الباني، والشيخ محمَّد عارف الصَّوَّاف الدّوجي، والشَّيخ محمَّد سعيد البُرهاني، والشيخ عبد القادر العاني وغيرهم. ولا تزال هذه المجالس قائمة يحضرها نخبة من أهل الفضل والعلم، والبركة فيها ظاهرة تنشرح لها الصُّدور.

وعملنا هذا يهدف إلى شرح موجز بسيط للمعاني الغامضة لبعض الكلمات أو الأبيات، فقد لاحظت أثناء حضوري مجالس البُردة أنَّ أكثر النَّاس الذين يحضرون هذه المجالس ـ ما خلا العلماء منهم ـ يقرؤون أبياتها دون فهم لكثيرٍ من معانيها، وقد يتعذَّر عليهم الرُّجوع إلى معاجم اللُّغة أو الشُّروح المطوَّلة، لعدم توفُّرها أو لصعوبة الاستفادة منها.

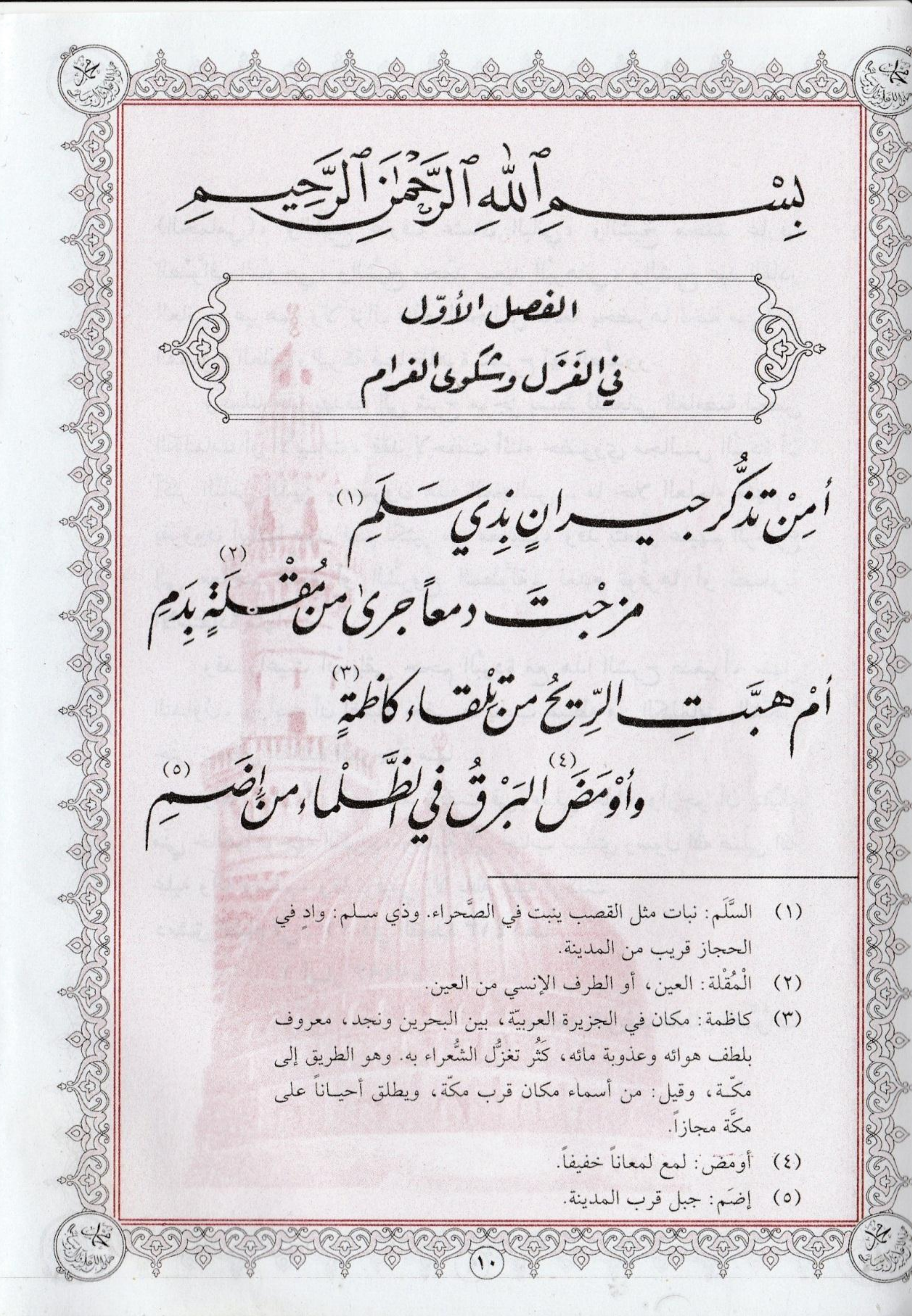
وقد راعيت أنْ يبقى حجم البُردة مع هذا الشرح صغيراً، سهل التداول، ورأيت أن أضبط بعض ما يجب ضبطه من الكلمات بالشَّكل حتّى تتحقَّق الفائدة المرجوَّة منها.

والله أسال أنْ أكون قد وفّقت في عملي هذا، وأرجو أن يتقبَّله منّي خالصاً لوجهه الكريم، وهديَّة إلى جناب سيِّدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت.

دمشق الشام في : ١١ ذي القعدة ١٤١٣هـ

١ أيـار ١٩٩٣م

محمد شريف عدنان الصَّوَّاف



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
في الغزل وشكوى الغرام

أَمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ[1]
مزجْتَ دمعاً جرى من مُقْلَةٍ[2] بدمِ

أمْ هبَّتِ الرِّيحُ من تلْقاءِ كاظمةٍ[3]
وأوْمَضَ[4] البرْقُ في الظلْماءِ من إضَمِ[5]

---

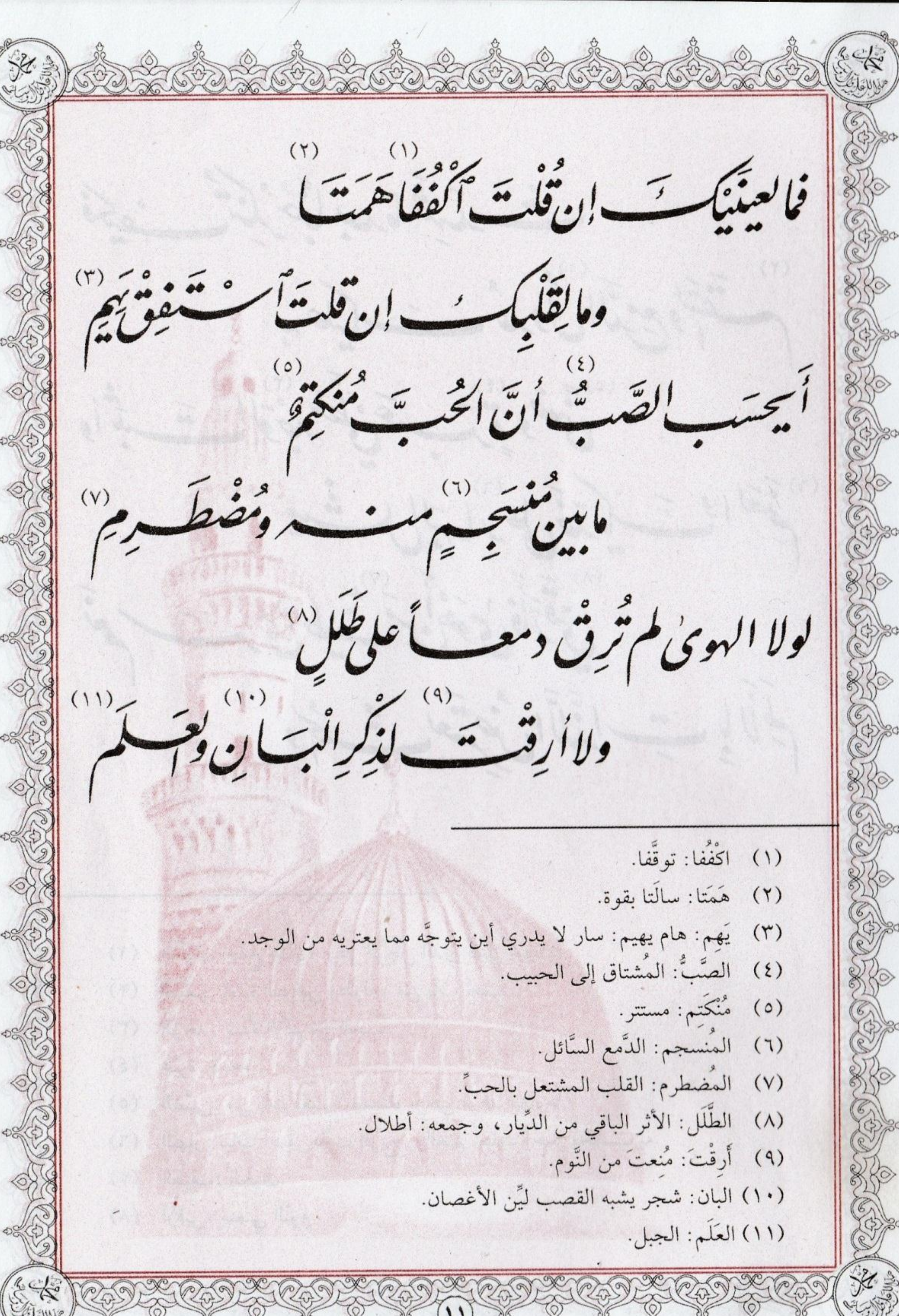
(١) السَّلَم: نبات مثل القصب ينبت في الصَّحراء. وذي سلم: وادٍ في الحجاز قريب من المدينة.

(٢) المُقْلة: العين، أو الطرف الإنسي من العين.

(٣) كاظمة: مكان في الجزيرة العربيّة، بين البحرين ونجد، معروف بلطف هوائه وعذوبة مائه، كثُر تغزُّل الشُّعراء به. وهو الطريق إلى مكّة، وقيل: من أسماء مكان قرب مكّة، ويطلق أحياناً على مكّة مجازاً.

(٤) أومَض: لمع لمعاناً خفيفاً.

(٥) إضَم: جبل قرب المدينة.



فما لعينيك إن قلت اكْفُفا[1] هَمَتا[2]

وما لقلبك إن قلت استفق يَهِمِ[3]

أيحسب الصَّبُّ[4] أنَّ الحُبَّ مُنكتِمٌ[5]

ما بين مُنسجِمٍ[6] منه ومُضْطَرِمِ[7]

لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ[8]

ولا أرِقْتَ[9] لذكرِ البانِ[10] والعلَمِ[11]

---

(١) اكْفُفا: توقَّفا.

(٢) هَمَتا: سالَتا بقوة.

(٣) يَهِم: هام يهيم: سار لا يدري أين يتوجَّه مما يعتريه من الوجد.

(٤) الصَّبُّ: المُشتاق إلى الحبيب.

(٥) مُنكَتِم: مستتر.

(٦) المُنسجم: الدَّمع السَّائل.

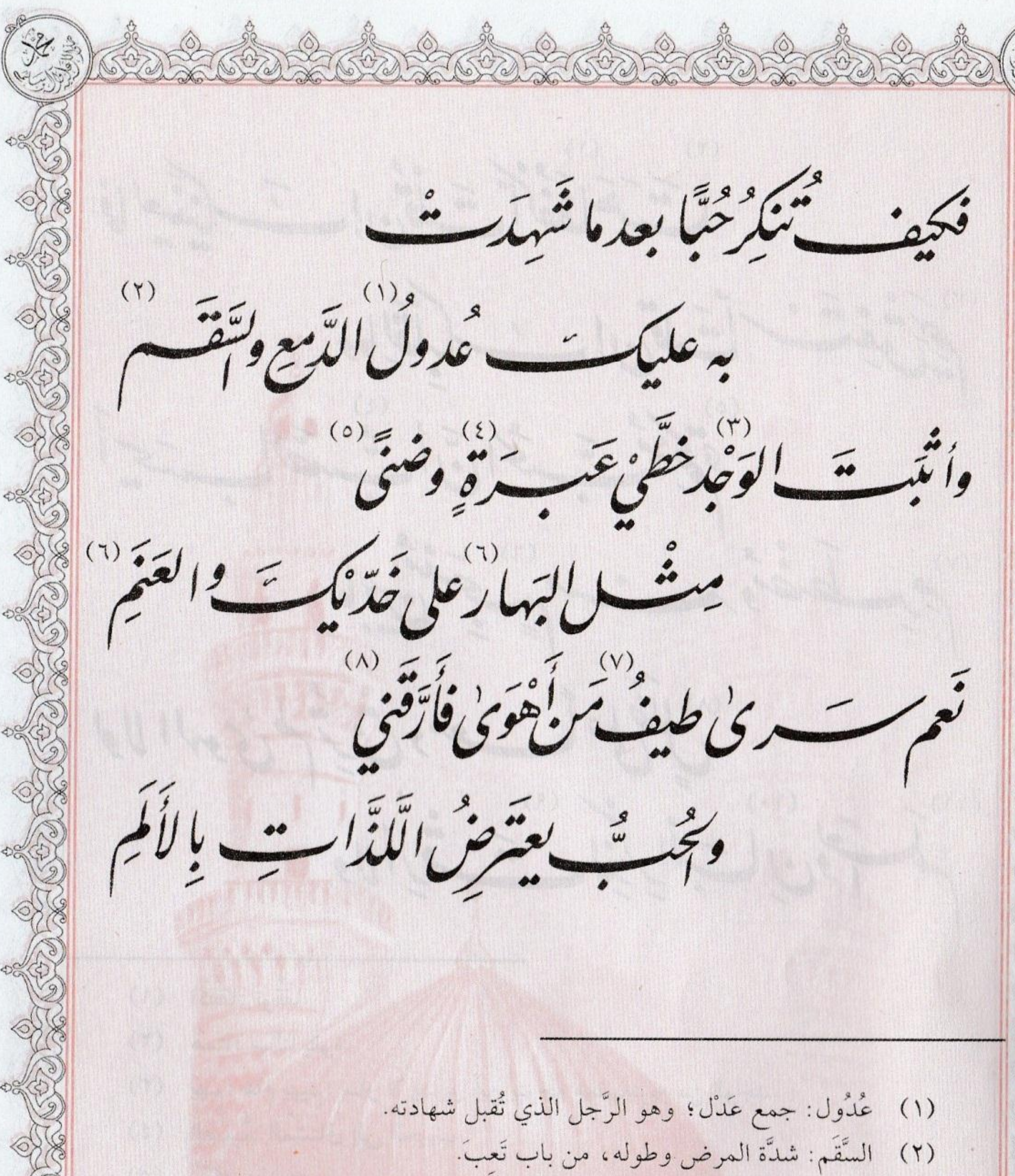
(٧) المُضطرم: القلب المشتعل بالحبِّ.

(٨) الطَّلَل: الأثر الباقي من الدِّيار، وجمعه: أطلال.

(٩) أَرِقْتَ: مُنِعتَ من النَّوم.

(١٠) البان: شجر يشبه القصب ليِّن الأغصان.

(١١) العَلَم: الجبل.



فكيف تنكِرُ حُبّاً بعد ما شَهِدتْ

به عليكَ عُدولُ[1] الدَّمعِ والسَّقَمِ[2]

وأثبَتَ الوَجْدُ[3] خطَّيْ عَبرةٍ[4] وضنىً[5]

مِثْلَ البهارِ[6] على خدّيْكَ والعَنَمِ[6]

نَعَم سَرى طيفُ[7] مَنْ أَهْوى فأَرَّقَني[8]

والحُبُّ يعترِضُ اللَّذّاتِ بالألَمِ

---

(١) عُدُول: جمع عَدْل؛ وهو الرَّجل الذي تُقبل شهادته.

(٢) السَّقَم: شدَّة المرض وطوله، من باب تَعِبَ.

(٣) الوَجْد: شدَّة الألم من الحبِّ.

(٤) عَبْرة: دمعة.

(٥) الضَّنى: من باب تَعِبَ، ومعناه مَرِضَ مرضاً ملازماً.

(٦) البَهار: نبات أصفر طيِّب الرِّيح. والعَنَم: نبات أحمر يُخضب به.

(٧) الطَّيف: الخيال.

(٨) أرَّقني: منعني النَّوم.

يا لائمي[1] في الهوى العُذريِّ[2] مَعذرةً

منّي إليكَ ولوْ أنْصفتَ لمْ تلُمِ

عَدَتْكَ حاليَ لا سِرّي بمُستترٍ

عنِ الوُشاةِ[3] ولا دائي بمُنْحَسِمِ[4]

مَحضْتَني النُّصحَ[5] لكنْ لستُ أسْمعُهُ

إنَّ المُحبَّ عن العُذَّال[6] في صَمَمِ[7]

إنّي اتَّهمتُ نَصيحَ الشَّيبِ[8] في عَذَلٍ[9]

والشَّيبُ أبْعدُ في نُصحٍ عن التُّهَمِ

---

(١) اللائم: العَذول والمنكِر.

(٢) الهوى العذري: عُذرة: فرع من قبيلة (قضاعة) قطنوا شمال الحجاز وعبدوا الشمس قبل إسلامهم، قاتلوا في حروب الفتح سنة (٦٣٣م) إليهم ينسب الحب العذري، ويقصد به عفةُ المتحابين وعدم لقائهم جنسياً رغم الرغبة الملحَّة بينهما إيماناً أو شهامة.

(٣) الوُشاة: هم نقلَة الأخبار والأسرار إلى السُّلطان وغيره.

(٤) المُنْحَسِم: المنْقطع.

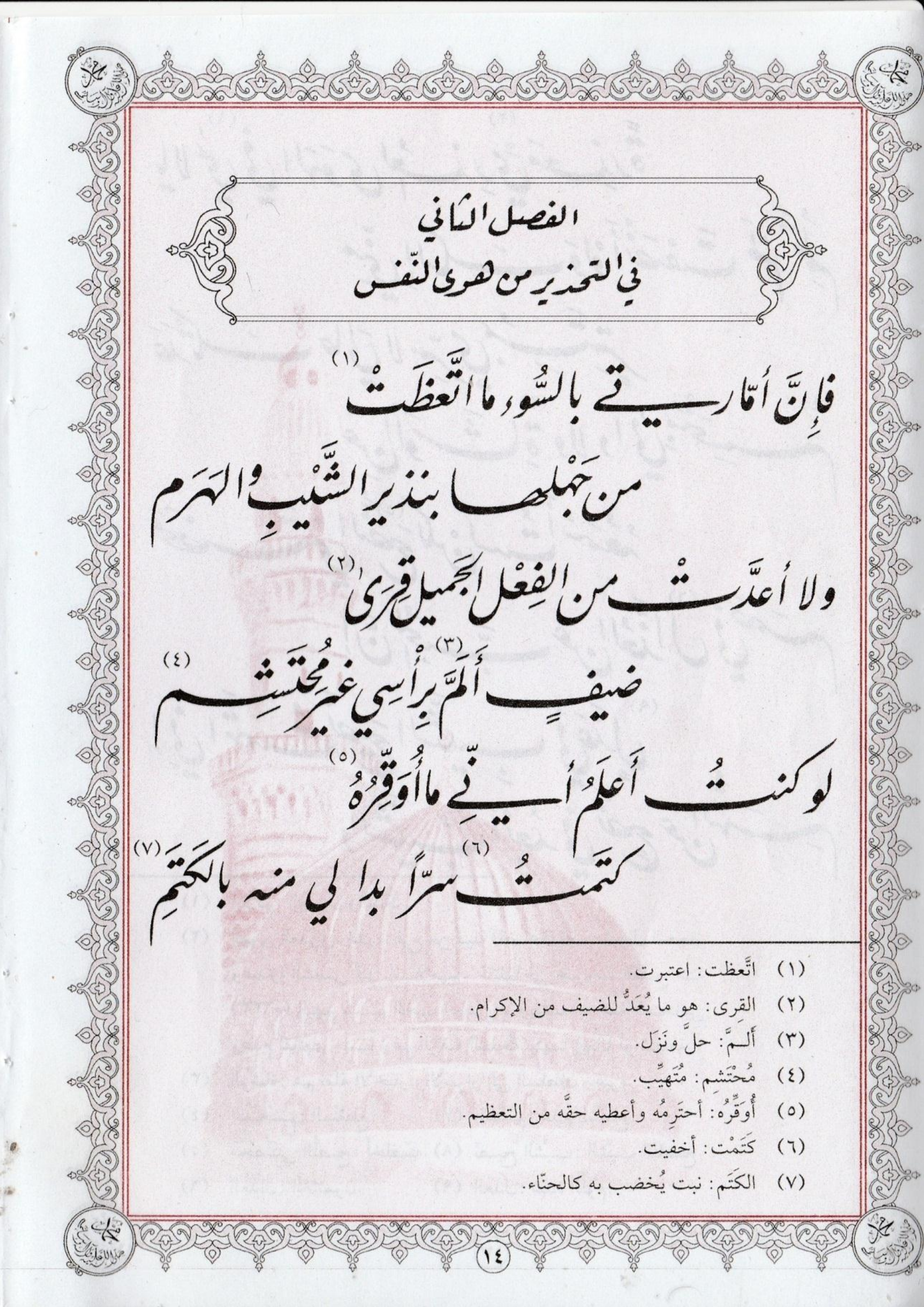
(٥) مَحضْتَنِي النُّصح: أَخلصتَه.

(٦) العُذَّال: اللائمونَ.

(٧) الصَّمَم: عدم السَّماع.

(٨) نَصيحَ الشَّيب: الشَّيب النَّاصح.

(٩) العَذَل: شدة اللَّوْم.



الفصل الثاني
في التحذير من هوى النفس

فإنَّ أمّارتي بالسُّوءِ ما اتَّعظَتْ[(١)]
من جهلها بنذير الشَّيْبِ والهرم

ولا أعدَّتْ من الفِعْلِ الجميلِ قِرَى[(٢)]
ضيفٍ أَلَمَّ[(٣)] برأسي غير مُحتشِمِ[(٤)]

لو كنتُ أعلمُ أنّي ما أُوَقِّرُهُ[(٥)]
كتمتُ[(٦)] سرّاً بدا لي منه بالكَتَمِ[(٧)]

---

(١) اتَّعظت: اعتبرت.
(٢) القِرى: هو ما يُعَدُّ للضيف من الإكرام.
(٣) ألَـمَّ: حلَّ ونَزَل.
(٤) مُحْتَشِم: مُتَهيِّب.
(٥) أُوَقِّرُه: أحترِمُه وأعطيه حقَّه من التعظيم.
(٦) كَتَمْت: أخفيت.
(٧) الكَتَم: نبت يُخضب به كالحنّاء.

مَنْ لي بِرَدِّ جِماحٍ[1] مِن غَوايَتِها[2]

كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيْلِ باللُّجُمِ[3]

فلا تَرُمْ[4] بالمعاصي كَسْرَ شَهْوَتِها

إنَّ الطَّعامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ[5]

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ[6] على

حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فاصْرِفْ هَواها وحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ[7]

إنَّ الهَوى ما تَوَلَّى يُصْمِ أو يَصِمِ[8]

---

(١) الْجِماح: العصيان وعدم الانقياد.

(٢) الغَواية: الضَّلالة.

(٣) اللُّجُم، جمع لجام: وهو ما يجعل في فم الفرس من الحديد مع الحكمتين والعِذارين.

(٤) لا ترُمْ: لا تطلب. (٥) النَّهِم: الشرِه.

(٦) شبَّ: نشأ وصار شاباً.

(٧) تُوَلِّيَه: تجعله والياً عليك.

(٨) يُصْمي: يقتل، من أصمى. يصِم: يعيب، من وَصَم.

وراعِها وهيَ في الأعمالِ سائِمةٌ[1]

وإنْ هيَ استحلَتِ المرعى[2] فلا تُسِمِ[3]

كم حسَّنتْ لذَّةً للمرءِ قاتِلةً

من حيثُ لم يدرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

واخشَ الدَّسائِسَ[4] من جوعٍ ومن شِبَعٍ

فرُبَّ مَخْمَصةٍ[5] شرٌّ من التُّخَمِ[6]

واستفرِغِ الدَّمعَ من عينٍ قدِ امتلأتْ

من المحارمِ والزمْ حِميةَ النَّدمِ

---

(١) السائمة: هي الَّتي رعت بنفسها أو بواسطة الرَّاعي.

(٢) استحلَت المرعى: أعجبها المَرعى.

(٣) تُسِمِ: تتركها ترعى دون مراقبة، وقد شبَّه الإمام البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ النَّفس بالدابَّة، والإنسان راعٍ لها لا بدَّ أن يراقبها، وهي تقوم بالأعمال الحسنة أو القبيحة، فإن وجد نفسه راغبة في الأعمال فعليه أن يوقفها مخافة أن تكون قد استحسنت المكروه أو الحرام.

(٤) الدَّسائس: جمع للأُمور الشِّريرة المخبأة المَخفيَّة.

(٥) المَخْمَصَة: المجاعة. (٦) التُّخم: امتلاء المعدة من الشِّبع.

وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيطانَ واعْصِهِما

وإنْ هُما مَحَضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ[(١)]

ولا تُطِعْ منهُما خَصْماً ولا حَكَماً

فأنتَ تعرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

أَستغفِرُ اللهَ من قولٍ بلا عملٍ

لقد نسبتُ به نسْلاً لِذِي عُقُمِ[(٢)]

أمَرْتُكَ الخيرَ لكن ما ائْتَمَرْتُ به

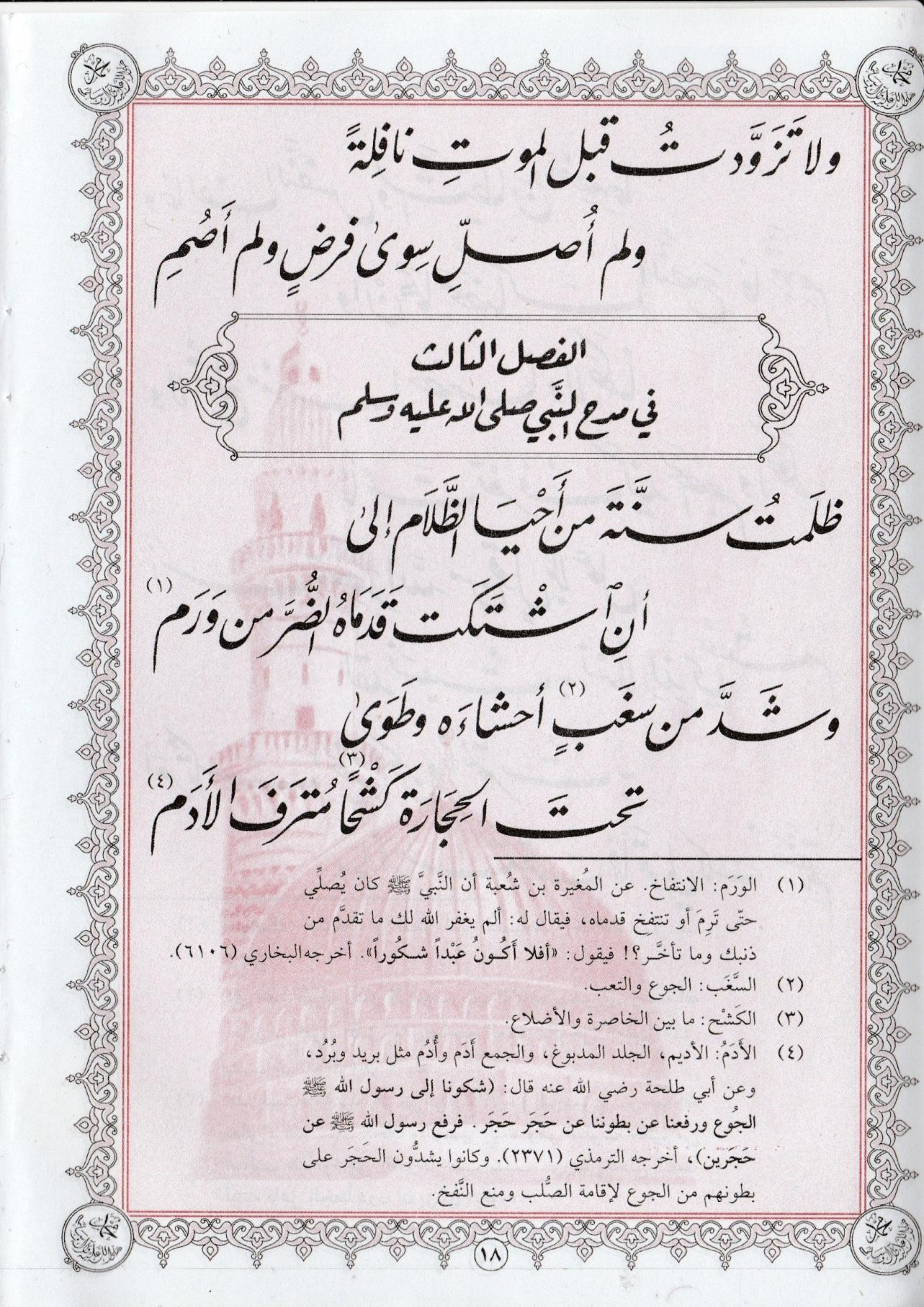
وما اسْتقَمْتُ فما قَوْلي لكَ اسْتَقِمِ[(٣)]

---

(١) مَحَضاك: صَدَقاك وأَخْلَصا لك النَّصيحة، إخلاصاً ليس فيه شائبة.

(٢) ذي عُقُم: الرَّجل الَّذي لا يُنجب. يشبّه الإمام البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ القول الَّذي لا يصاحبه العمل بالرَّجل العقيم الَّذي ينسب إليه الولد وهو لا يلد.

(٣) هذا البيت وما قبله هو من تواضع الإمام البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ فقد نسبَ الخطأَ والتقصيرَ إليه، وهو أُسلوب حكيم من أساليب الدَّعوة إلى الخير؛ حيث ينسب الواعظ الخلل لنفسه ليتنبه فاعل الخطأ دون أن يؤذي شعوره.



ولا تزوَّدتُ قبل الموتِ نافلةً

ولم أُصلِّ سِوى فرضٍ ولم أصُمِ

الفصل الثالث
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

ظلمتُ سنَّةَ من أحيا الظَّلامَ إلى

انِ اشْتكت قدماهُ الضُّرَّ من وَرَم[1]

وشدَّ من سغَبٍ[2] أحشاءَه وطوى

تحتَ الحجارة كَشْحاً[3] مُترفَ الأدَم[4]

(١) الورَم: الانتفاخ. عن المغيرة بن شُعبة أن النَّبيَّ ﷺ كان يُصلِّي حتّى تَرِمَ أو تنتفخ قدماه، فيقال له: ألم يغفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! فيقول: «أفلا أَكُونُ عَبْداً شكُوراً». أخرجه البخاري (٦١٠٦).

(٢) السَّغَب: الجوع والتعب.

(٣) الكَشْح: ما بين الخاصرة والأضلاع.

(٤) الأَدَمُ: الأديم، الجلد المدبوغ، والجمع أدَم وأُدُم مثل بريد وبُرُد، وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: (شكونا إلى رسول الله ﷺ الجُوع ورفعنا عن بطوننا عن حَجَرٍ حَجَر. فرفع رسول الله ﷺ عن حَجَرين)، أخرجه الترمذي (٢٣٧١). وكانوا يشدُّون الحَجَر على بطونهم من الجوع لإقامة الصُّلب ومنع النَّفخ.

وراوَدَتْه الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ

عن نفسِهِ فأراها أيَّما شَمَمِ[1]

وأكَّدت زُهدَهُ[2] فيها ضرورتُه[3]

إنَّ الضَّرورةَ لا تَعْدو على العِصَمِ[4]

وكيف تدعو إلى الدُّنيا ضرورةُ مَنْ

لولاهُ لم تُخْرَج الدُّنيا من العدم

---

(١) الشَّمَمِ: الإباء وعِزَّة النَّفس.

(٢) الزُّهد في الشَّيء: الإعراض عنه بالقلب وعدم التَّعلُّق به، رغم ميل النَّفس إليه.

(٣) ضرورته: حاجته المُلحَّة. عن أنس بن مالك: أنَّ رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلاّ على ضَفَفٍ. أخرجه أحمد (١٣٨٦٠). والضَّفَفُ: الضيق والشِّدَّة، أي لم يشبع منهما إلاَّ عن ضيق وقلَّة. وقيل: الضفف: الضيف. وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيَّكم ﷺ وما يَجِدُ من الدَّقَلِ ـ رديء التمر ـ ما يملأُ بطنَهُ). أخرجه الترمذي (٢٣٧٢).

(٤) العِصَم: العِصمة والحماية من الزَّلل.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْ
نِ(1) وَالفَرِيقَيْنِ مِن عُرْبٍ وَمِن عَجَمِ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلا أَحَدٌ
أَبَرَّ(2) فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ(3) مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ(4)

دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ(5)
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ(6)

---

(1) الثَّقَلين: الإنس والجن.

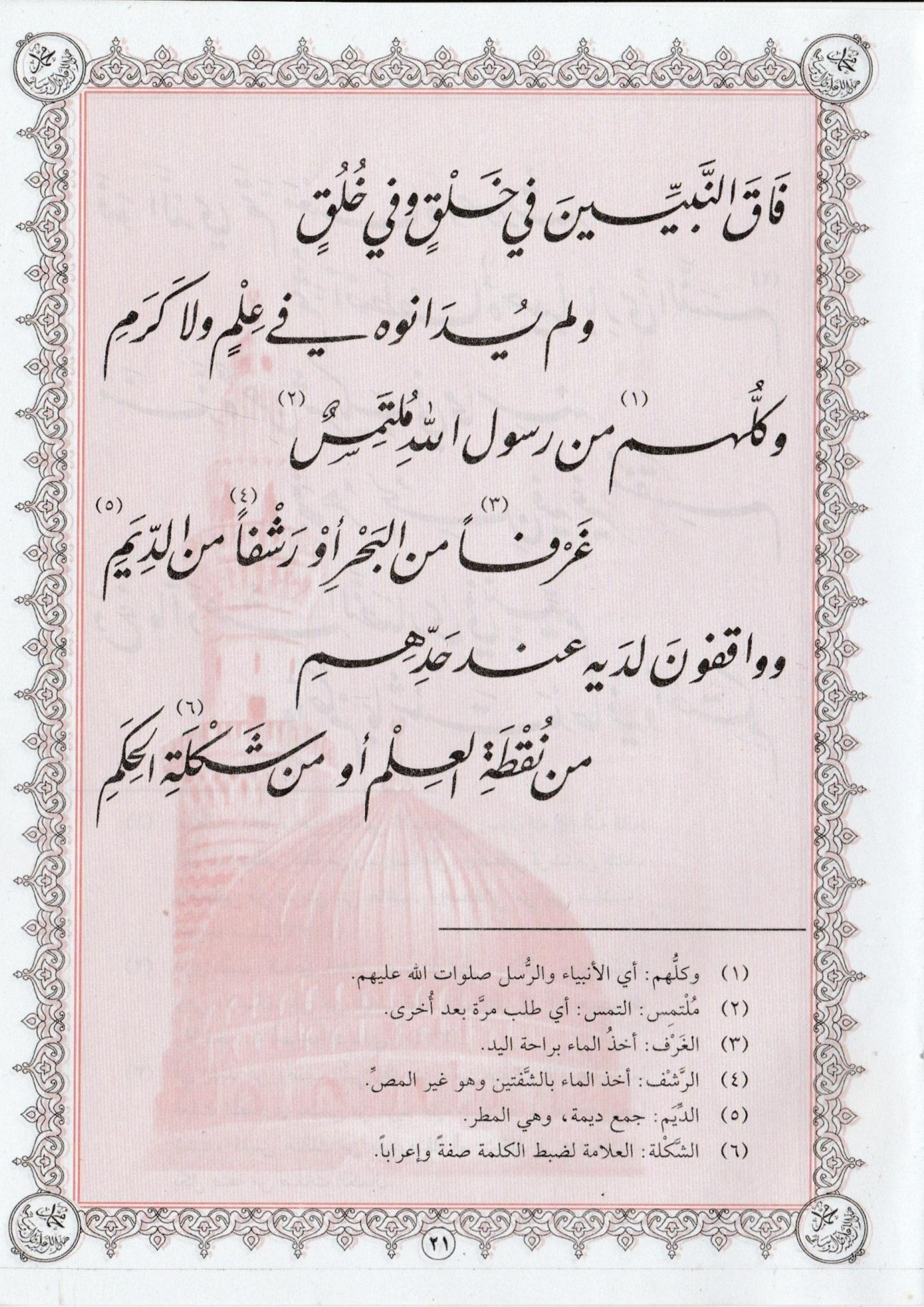
(2) أبرَّ: أصدق.

(3) هول: مصيبة وأمر عظيم.

(4) المُقْتَحَم: الأمر الكبير الشَّاق الَّذي لا يطيقه أحد، وتستصعب النفس اقتحامه.

(5) المُسْتَمْسكون به: المستمسكون بسنَّته وشرعه.

(6) مُنْفَصِم: منقطع.



فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ[1] مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ[2]

غَرْفاً[3] مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً[4] مِنَ الدِّيَمِ[5]

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ

مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ[6] الْحِكَمِ

---

(١) وكلُّهم: أي الأنبياء والرُّسل صلوات الله عليهم.

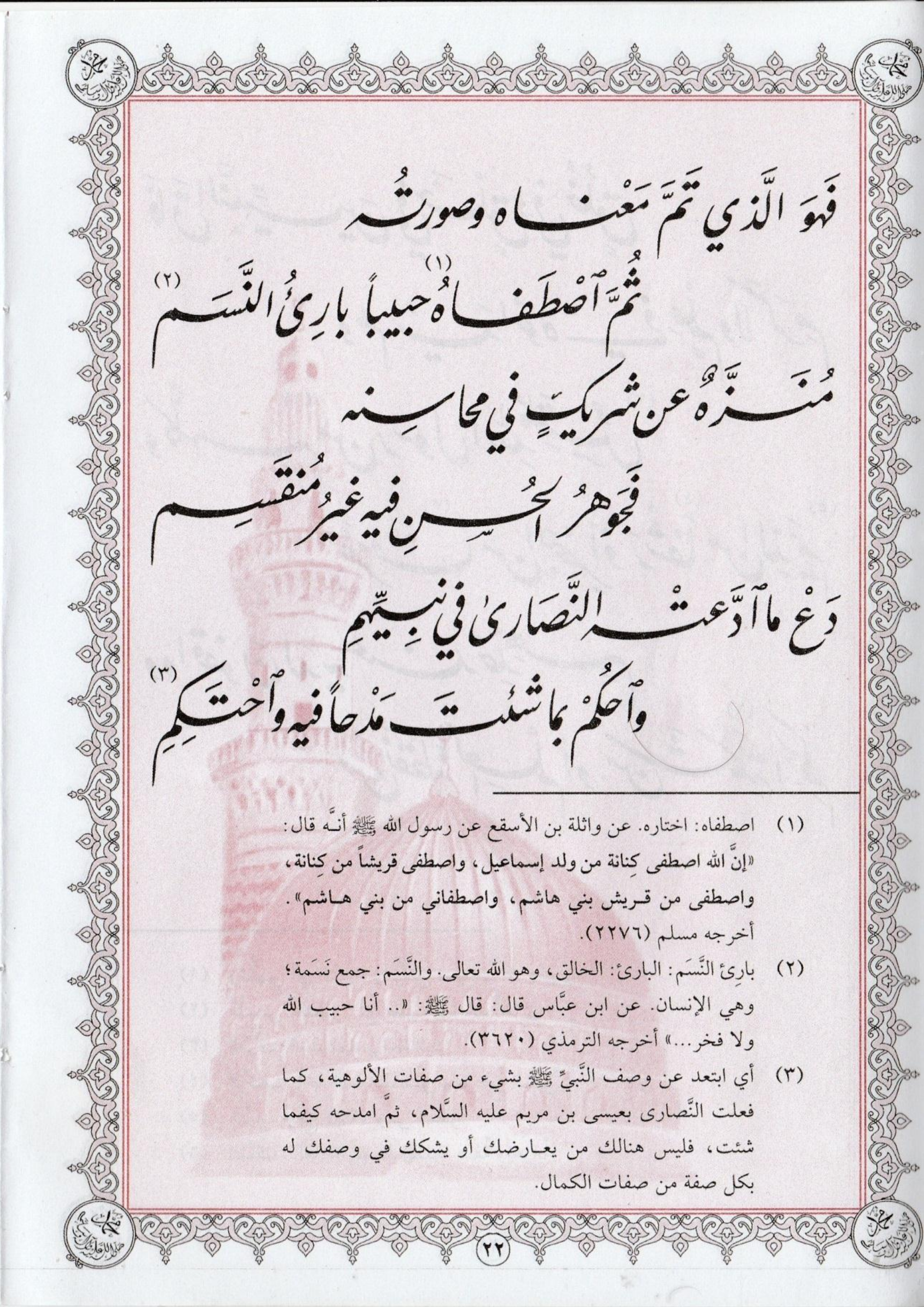
(٢) مُلْتمس: التمس: أي طلب مرَّة بعد أُخرى.

(٣) الغَرْف: أخذُ الماء براحة اليد.

(٤) الرَّشْف: أخذ الماء بالشَّفتين وهو غير المصِّ.

(٥) الدِّيَم: جمع ديمة، وهي المطر.

(٦) الشَّكْلة: العلامة لضبط الكلمة صفةً وإعراباً.



فَهوَ الَّذي تَمَّ مَعْناه وصورتُه
ثُمَّ ٱصْطَفاهُ (١) حبيباً بارِئُ النَّسَم (٢)

مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنه
فَجَوهرُ الحُسنِ فيه غيرُ مُنقَسِم

دَعْ ما ٱدَّعتْه النَّصارىٰ في نبيِّهم
وٱحكُمْ بما شئتَ مَدْحاً فيه وٱحتَكِم (٣)

(١) اصطفاه: اختاره. عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٢) بارِئ النَّسَم: البارئ: الخالق، وهو الله تعالى. والنَّسَم: جمع نَسَمة؛ وهي الإنسان. عن ابن عبَّاس قال: قال ﷺ: «.. أنا حبيب الله ولا فخر...» أخرجه الترمذي (٣٦٢٠).

(٣) أي ابتعد عن وصف النَّبيِّ ﷺ بشيء من صفات الألوهية، كما فعلت النَّصارى بعيسى بن مريم عليه السَّلام، ثمَّ امدحه كيفما شئت، فليس هنالك من يعارضك أو يشكك في وصفك له بكل صفة من صفات الكمال.

وانسُب إلى ذاتِهِ ما شِئتَ من شَرَفٍ

وانْسُب إلى قَدْرِه ما شِئتَ من عِظَمِ

فإنَّ فضلَ رسول الله ليس له

حدٌّ فيُعرِبَ[1] عنه ناطقٌ بفَمِ

لو ناسَبَت قدرَه آياتُهُ عِظَماً

أَحْيا اسمُه حين يُدْعى دارِسَ[2] الرِّمَمِ[3]

لم يَمتَحِنَّا بما تَعيا[4] العُقولُ به

حِرصاً علينا فلم نَرْتَبْ[5] ولم نَهِمِ[6]

---

(١) يُعْرِب: الإعراب: الإبانة والإفصاح عن الشَّيء.

(٢) الدَّارِس: هو المَمْحُوّ أثَرُه.

(٣) الرِّمَم: العظام البالية.

(٤) تعيا: تعجز.

(٥) نَرْتَب: نشُكّ.

(٦) لم نَهِمْ: لم نَضِلّ.

أَعْيـا الوَرَى[1] فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرَى

في القُرْبِ والبُعْدِ فيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ[3]

كالشَّمْسِ تَظْهَرُ للعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ

صَغِيرَةً وتُكِلُّ[4] الطَّرْفَ[5] مِنْ أَمَمِ[6]

وكَيْفَ يُدْرِكُ في الدُّنْيا حَقِيقَتَهُ

قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ[7] بالحُلُمِ

---

(١) أعيا: أعجز.

(٢) الورى: النَّاس.

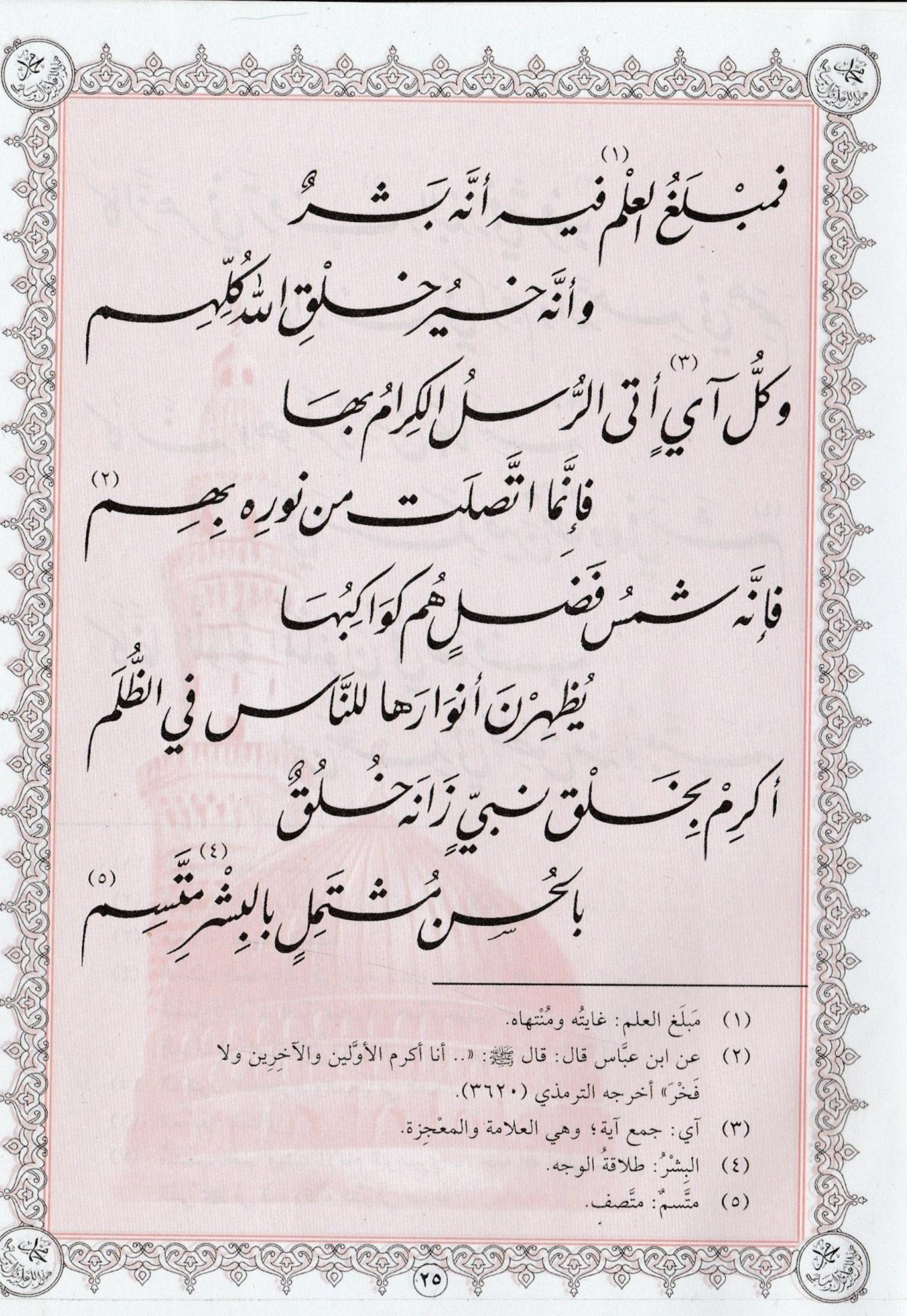
(٣) المُنفَحِم: الدَّاحضِ الحجَّة، السَّاكت عجزاً في المناظرة لضعف حجته أمام خصمه. أي: لا ترى إلاَّ من يعجز عن فهم حقيقته.

(٤) تُكلُّ: تُعجزُ.

(٥) الطَّرْف: النَّظر.

(٦) من أمَم: من قريب.

(٧) تسلَّوا عنه: تلهُّوْا عنه.



فَمَبْلَغُ العِلْمِ (١) فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وَكُلُّ آيٍ (٣) أَتَى الرُّسُلُ الكِرَامُ بِهَا

فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ (٢)

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا

يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ

بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ (٤) مُتَّسِمِ (٥)

---

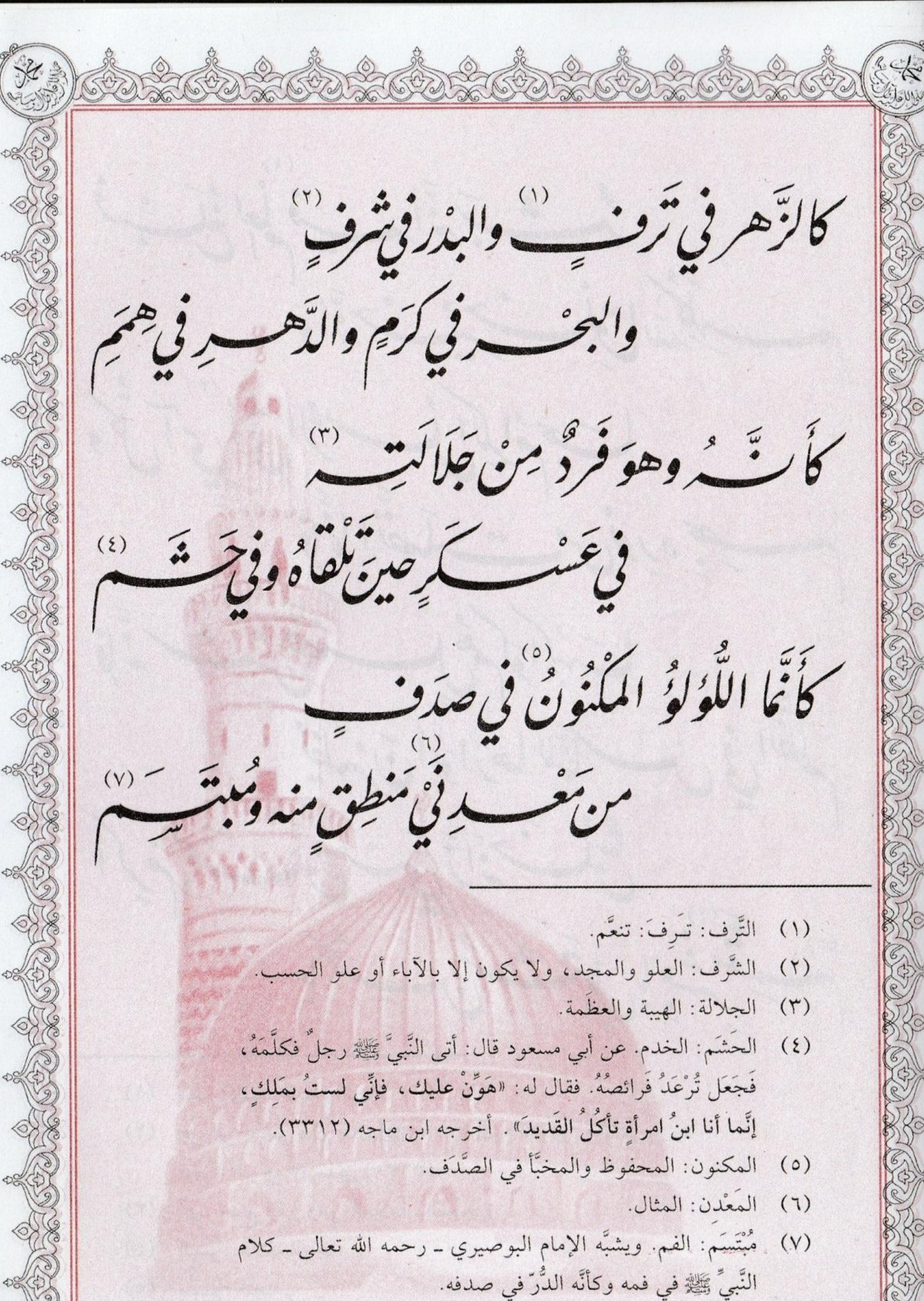
(١) مَبلَغ العلم: غايتُه ومُنْتهاه.

(٢) عن ابن عبَّاس قال: قال ﷺ: «.. أنا أكرم الأوَّلين والآخِرين ولا فَخْرَ» أخرجه الترمذي (٣٦٢٠).

(٣) آي: جمع آية؛ وهي العلامة والمعْجِزة.

(٤) البِشْرُ: طلاقةُ الوجه.

(٥) متَّسِمٌ: متَّصف.



كالزَّهر في تَرَفٍ[1] والبدْر في شرفٍ[2]
والبحْر في كرمٍ والدَّهرِ في هِمَمِ

كأنَّهُ وهوَ فردٌ مِنْ جَلالَتِهِ[3]
في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقاهُ وفي حَشَمِ[4]

كأنَّما اللُّؤلُؤُ المكْنُونُ[5] في صدفٍ
من مَعْدِنَيْ[6] منطِقٍ منه ومُبتَسَمِ[7]

---

(١) التَّرف: تـرِفَ: تنعَّم.

(٢) الشَّرف: العلو والمجد، ولا يكون إلا بالآباء أو علو الحسب.

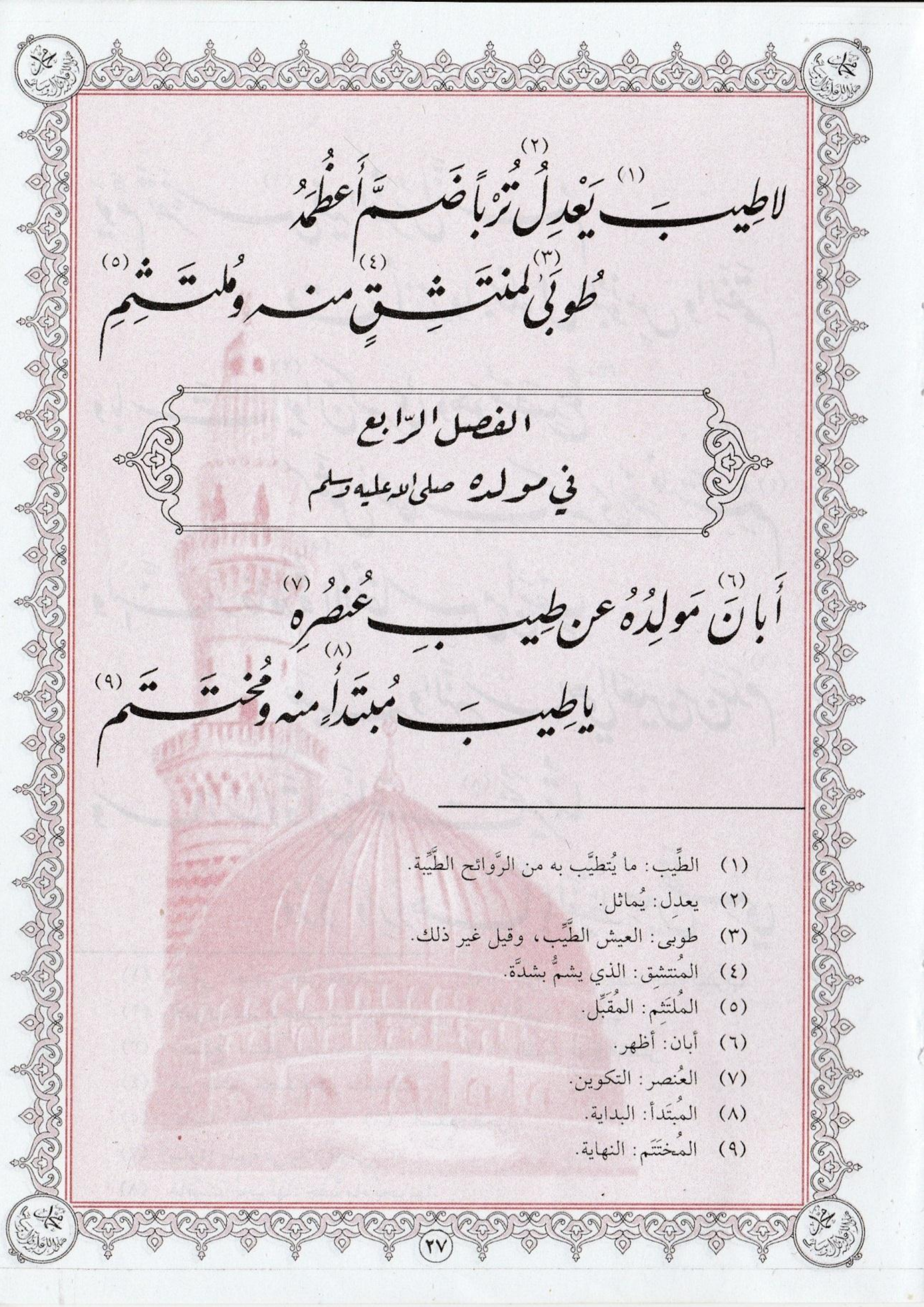
(٣) الجلالة: الهيبة والعظَمة.

(٤) الحَشَم: الخدم. عن أبي مسعود قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فكلَّمهُ، فَجَعَل تُرْعَدُ فرائصهُ. فقال له: «هَوِّنْ عليك، فإنِّي لستُ بملِكٍ، إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ». أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢).

(٥) المكنون: المحفوظ والمخبَأ في الصَّدَف.

(٦) المعْدِن: المثال.

(٧) مُبْتَسَم: الفم. ويشبِّه الإمام البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ كلام النَّبيِّ ﷺ في فمه وكأنَّه الدُّرّ في صدفه.



لا طِيبَ يَعْدِلُ[1] تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ[2]
طُوبَى[3] لِمُنْتَشِقٍ[4] مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ[5]

الفصل الرّابع
في مولده صلى الله عليه وسلم

أَبَانَ[6] مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ[7]
يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ[8] مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ[9]

---

(١) الطِّيب: ما يُتطيَّب به من الرَّوائح الطَّيِّبة.
(٢) يعدِل: يُماثل.
(٣) طوبى: العيش الطَّيِّب، وقيل غير ذلك.
(٤) المُنتشِق: الذي يشمُّ بشدَّة.
(٥) المُلتَثِم: المقبِّل.
(٦) أبان: أظهر.
(٧) العُنصر: التكوين.
(٨) المُبتَدأ: البداية.
(٩) المُختَتَم: النهاية.

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيهِ الفُرْسُ[1] أَنَّهُمُ

قَدْ أُنذِرُوا بِحُلُولِ البُؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ[2] كِسْرَى وَهوَ مُنصَدِعٌ[3]

كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيرُ مُلتَئِمِ[4]

وَالنَّارُ خَامِدَةُ[5] الأَنْفَاسِ مِن أَسَفٍ

عَلَيهِ وَالنَّهرُ سَاهِي العَينِ مِن سَدَمِ[6]

وَسَاءَ سَاوَةَ[7] أَنْ غَاضَتْ[8] بُحَيرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا[9] بِالغَيْظِ[10] حِينَ ظَمِي[11]

---

(١) تفرَّس: تعرَّف بالظَّنِّ الصَّائب.

(٢) الإيوان: صرح عظيم من أبنية الفُرس.

(٣) منصدعٌ: متشقِّقٌ وغير متماسك.

(٤) غيرُ ملتئِم: متصدِّع غير متماسك.

(٥) خامدة: مطفأة.

(٦) السَّدَم: الحزن.

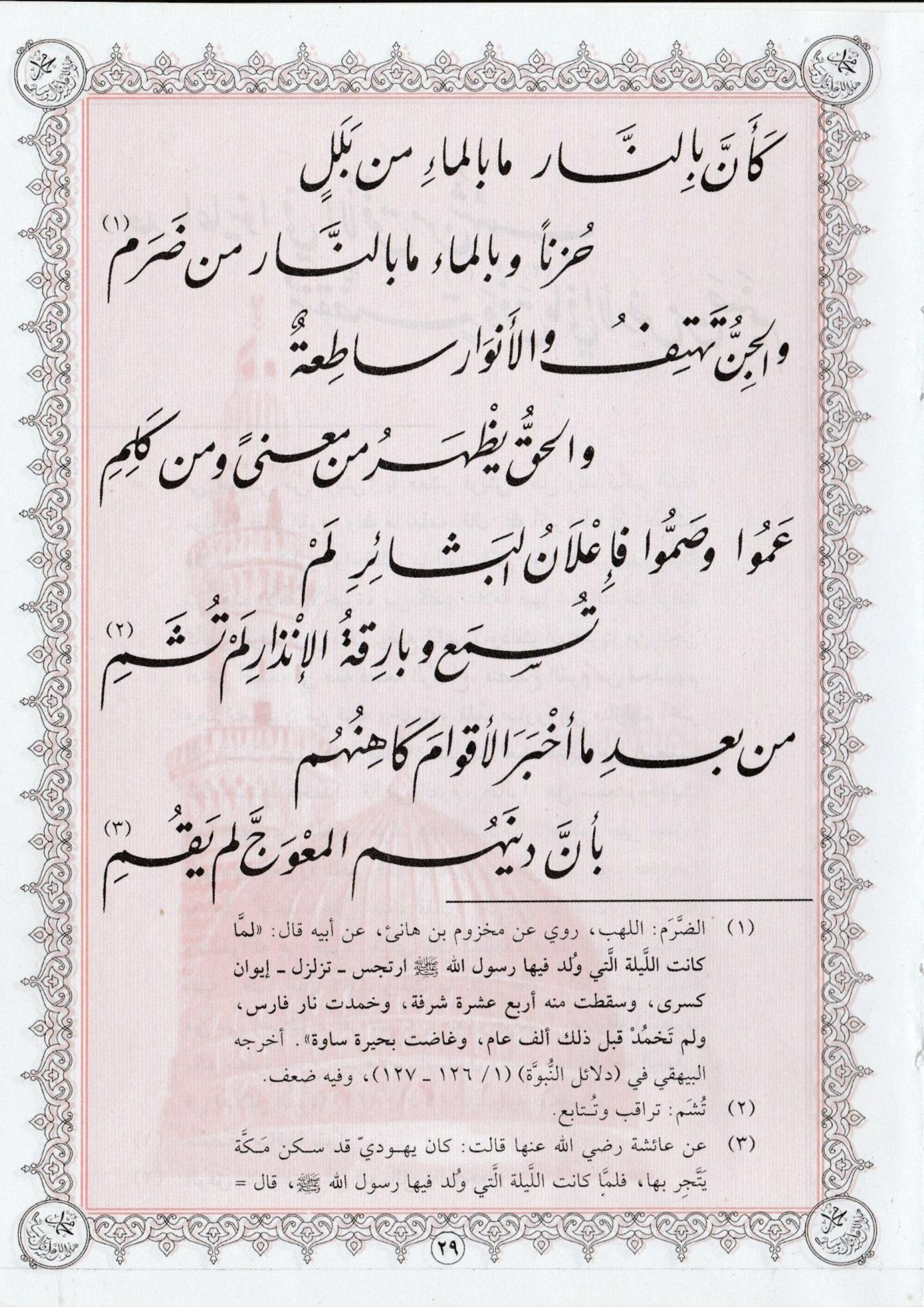
(٧) ساوَة: مدينة في بلاد فارس.

(٨) غاضَتْ بُحيرتُها: جفَّ ماء بُحيرتها.

(٩) الوارِد: من يقصد الماء ليشرب.

(١٠) الغيظ: الغضب.

(١١) الظَّمأ: شدَّة العطش.



كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِن بَلَلٍ

حُزنًا وبالماءِ ما بالنَّارِ من ضَرَمِ [(١)]

والجِنُّ تَهتِفُ والأَنوارُ ساطِعةٌ

والحقُّ يظهرُ من معنىً ومن كَلِمِ

عَمُوا وصَمُّوا فإِعلانُ البشائِرِ لَمْ

تُسمَع وبارِقةُ الإِنْذارِ لَمْ تُشَمِ [(٢)]

من بعدِ ما أخْبَرَ الأقوامَ كاهِنُهُم

بأَنَّ دينَهُمُ المعْوَجَّ لم يَقُمِ [(٣)]

---

(١) الضَّرَم: اللهب، روي عن مخزوم بن هانئ، عن أبيه قال: «لمَّا كانت اللَّيلة الَّتي وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس - تزلزل - إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تَخمُدْ قبل ذلك ألف عام، وغاضت بحيرة ساوة». أخرجه البيهقي في (دلائل النُبوَّة) (١/ ١٢٦ - ١٢٧)، وفيه ضعف.

(٢) تُشَم: تراقب وتُتابع.

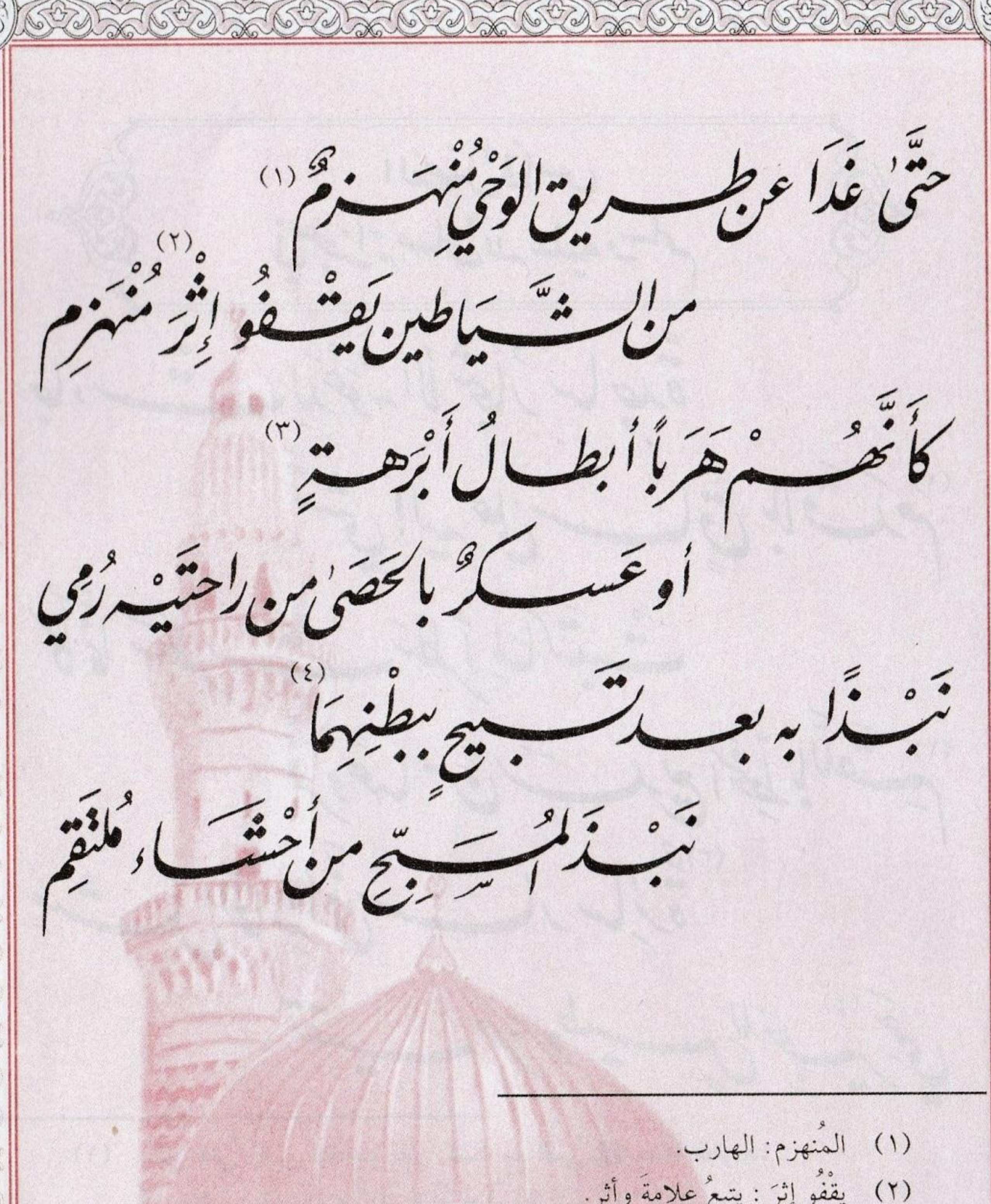
(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهوديّ قد سكن مَكَّة يَتَّجِر بها، فلمَّا كانت اللَّيلة الَّتي وُلد فيها رسول الله ﷺ، قال =

وبعد ما عاينوا في الأُفْقِ من شُهُبٍ
مُنقضَّةٍ[1] وَفْقَ[2] ما في الأرض من صَنَمِ

= في مجلسٍ من قريش: يا معشر قريش: هل ولد فيكم اللَّيلة مولودٌ؟ فقال القوم: والله ما نعلَمه. قال: الله أكبر؛ أما إذ أخطأكم فلا بأس؛ انظروا واحفظوا ما أقول لكم: وُلد فيكم هذه اللَّيلة نبيٌّ هذه الأُمَّة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنَّهنَّ عُرفُ فَرَس، لا يرضع ليلتين، وذلك أن عفريتاً من الجنّ أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرَّضاع. فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجَّبون من قوله وحديثه، فلمَّا صاروا إلى منازلهم أخبر كلُّ إنسان منهم أهله، فقالوا: لقد وُلد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سمّوه محمَّداً، فالتقى القوم، فقالوا: هل سمعتم حديث هذا اليهودي؟ بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتّى جاؤوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال: فاذهبوا بي حتَّى أنظر إليه، فخرجوا به حتَّى أدخلوه على آمنة، فقال: أخْرِجي لنا ابنك، فأخرجته وكشفوا له عن ظهره، فرأى تلك الشَّامة، فوقع اليهودي مَغْشيّاً عليه، فلمَّا أفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: والله ذهبت النُّبُوَّة من بني إسرائيل، أفرحتم به يا معشر قريش؟ أما والله لَيسْطُوَنَّ بكم سَطوةً يخرج خبرُها من المشرق والمغرب. أخرجه البيهقي في (دلائل النُّبوَّة) (١/١٠٨ـ ١٠٩)، وفيه ضعف.

(١) مُنْقضَّة: ساقطة بقوَّة.

(٢) الوَفْقَ: الموافق، أي المماثل والمتجه.



حتَّىٰ غدا عن طريق الوَحْيِ مُنْهزمٌ (١)

من الشَّياطين يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ (٢)

كأنَّهُمْ هَرَباً أبطالُ أبْرهةٍ (٣)

أو عَسكرٌ بالحَصَى من راحتيْهِ رُمي

نَبْذاً به بعدَ تسبيحٍ ببطْنِهِمَا (٤)

نَبْذَ المُسَبِّحِ من أحْشاءِ مُلْتَقِمِ

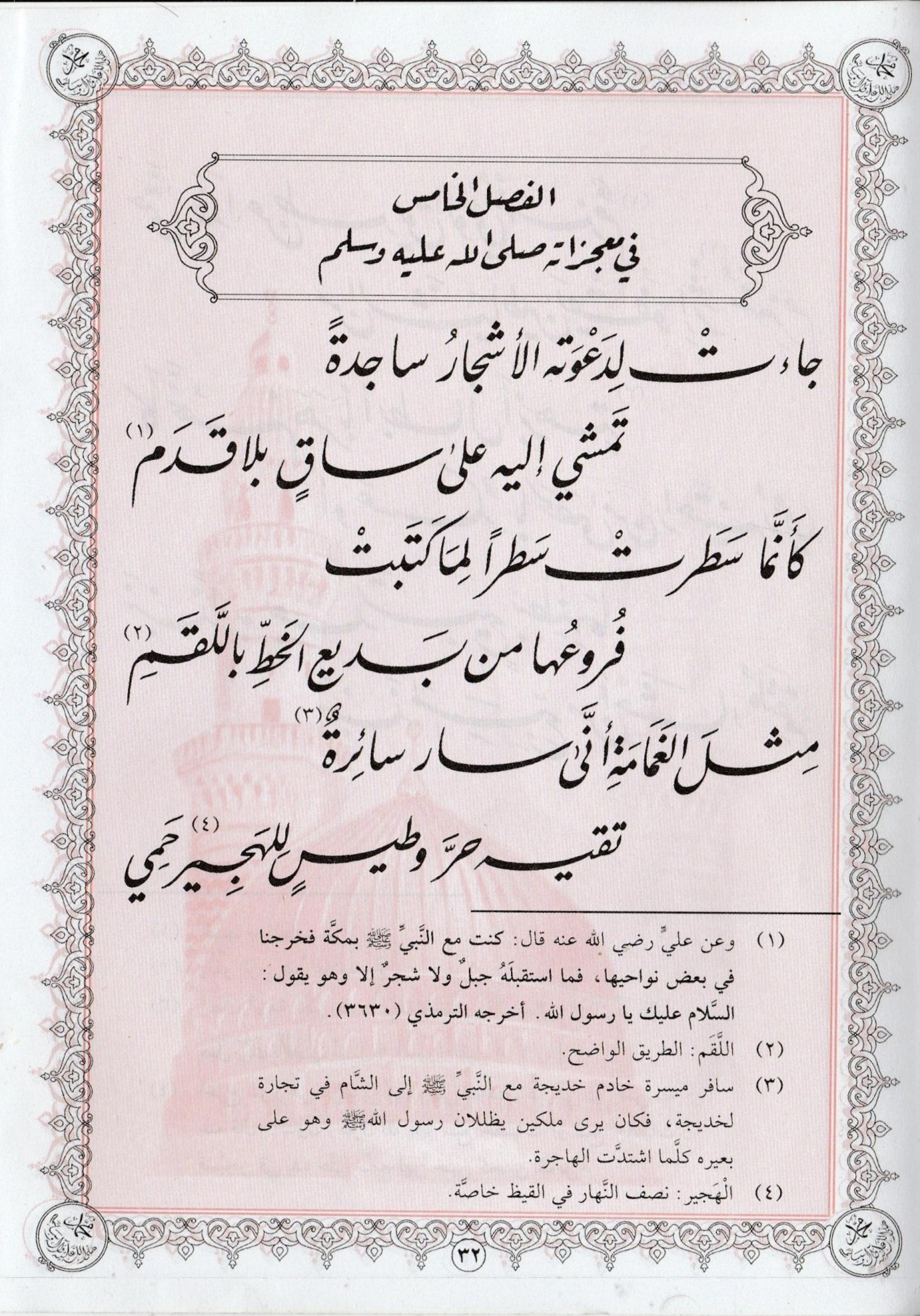
---

(١) المُنهزم: الهارب.

(٢) يقْفُو إثرَ: يتبعُ علامةَ وأثر.

(٣) أبطال أبرهة: هم جنود أبرهة الحبشي قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [سورة الفيل ١٠٥/١].

(٤) أخرج البزّار عن سويد بن زيد رضي الله عنه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تناول رسول الله ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات فسبَّحن في يده حتَّى سُمع لهنَّ حنين كحنين النَّحل».



الفصل الخامس
في معجزاته صلى الله عليه وسلم

جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأشجارُ ساجدةً
تَمشي إليه على ساقٍ بلا قَدَمِ[1]

كأنَّما سطرتْ سطراً لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُها من بديعِ الخَطِّ باللَّقَمِ[2]

مِثلَ الغَمامةِ أنَّى سارَ سائرةً[3]
تقيهِ حرَّ وطيسٍ للهَجيرِ حَمِي[4]

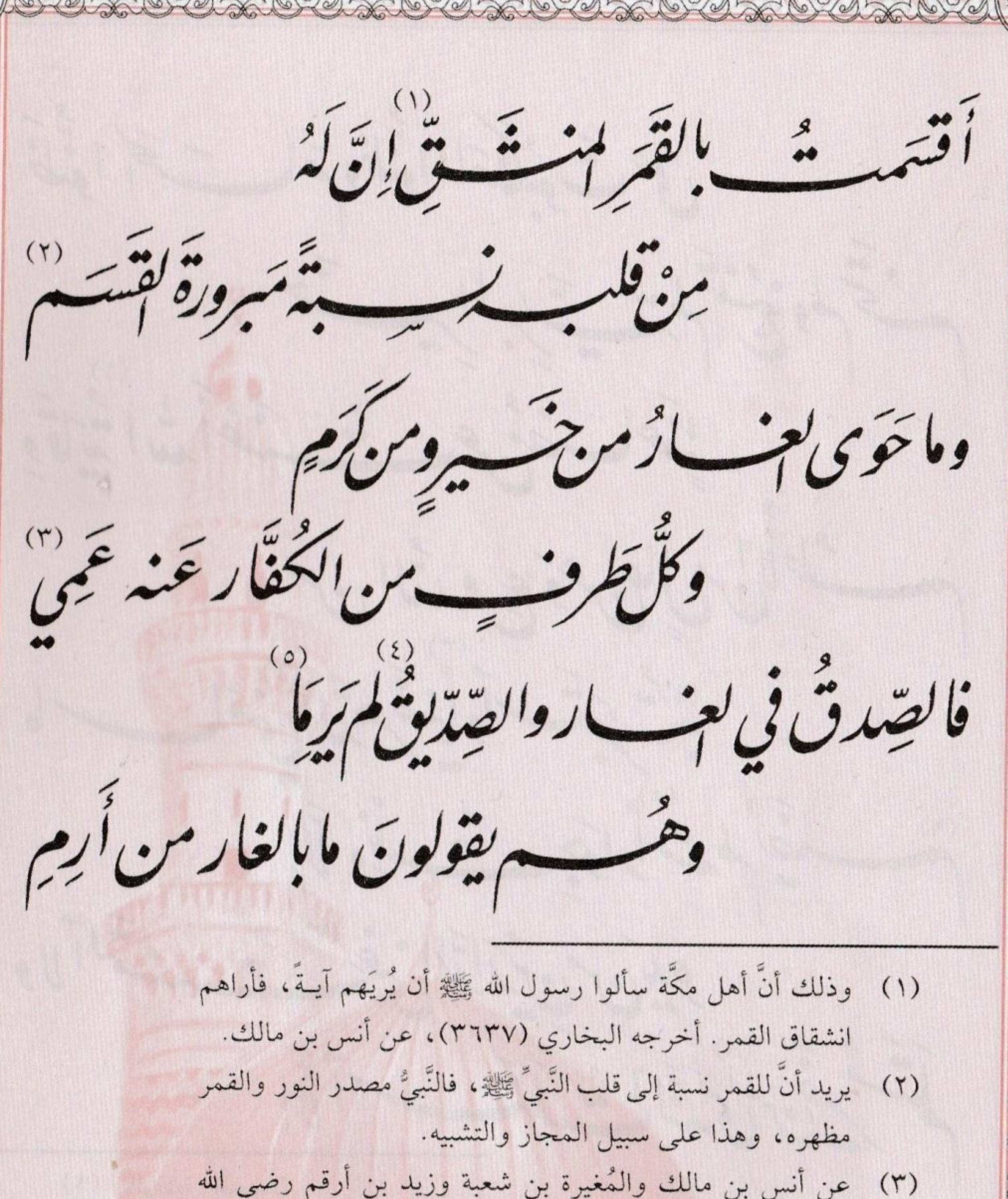
---

(١) وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كنت مع النَّبيِّ ﷺ بمكَّة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبلَهُ جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول: السَّلام عليك يا رسول الله. أخرجه الترمذي (٣٦٣٠).

(٢) اللَّقَم: الطريق الواضح.

(٣) سافر ميسرة خادم خديجة مع النَّبيِّ ﷺ إلى الشَّام في تجارة لخديجة، فكان يرى ملكين يظللان رسول الله ﷺ وهو على بعيره كلَّما اشتدَّت الهاجرة.

(٤) الْهَجير: نصف النَّهار في القيظ خاصَّة.



أَقسمتُ بالقمرِ المنشقِّ[1] إنَّ لَهُ

مِنْ قلبهِ نسبةً مبرورةَ القسمِ[2]

وما حَوَى الغارُ من خَيرٍ ومن كَرَمٍ

وكُلُّ طَرفٍ من الكُفَّارِ عنهُ عَمِي[3]

فالصِّدقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ[4] لم يَرِمَا[5]

وهُمْ يقولونَ ما بالغارِ من أَرِمِ

---

(١) وذلك أنَّ أهل مكَّة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آيةً، فأراهم انشقاق القمر. أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، عن أنس بن مالك.

(٢) يريد أنَّ للقمر نسبة إلى قلب النَّبيِّ ﷺ، فالنَّبيُّ مصدر النور والقمر مظهره، وهذا على سبيل المجاز والتشبيه.

(٣) عن أنس بن مالك والمُغيرة بن شعبة وزيد بن أرقم رضي الله عنهم: أن النَّبيَّ ﷺ ليلة الغار أمر الله عزَّ وجلَّ شجرة فنبتت في وجه النَّبيِّ ﷺ فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيَّتين فوقفتا بفم الغار، وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النَّبيِّ ﷺ فسترته، وأقبل فتيان قريش من كلِّ بطن، وجعل بعضهم ينظر في الغار، فرأى حمامتين بفم الغار فعرفوا أنَّه ليس فيه أحد» أخرجه البيهقي في (دلائل النُّبوَّة) (٢/ ٤٨٢).

(٤) الصِّدِّيق: أبو بكرٍ الصِّدِّيق. (٥) لم يَرِما: لم يبرحا.

ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنكَبُوتَ على

خَيرِ البَرِيَّةِ لم تَنسُجْ ولم تَحُمِ

وِقَايَةُ اللهِ[1] أَغنَتْ عن مُضاعَفَةٍ

من الدُّرُوعِ وعن عالٍ من الأُطُمِ

ما سَامَني[2] الدَّهرُ ضَيْماً[3] واستَجَرْتُ[4] بِهِ

إلَّا ونِلْتُ جِواراً[5] منهُ لم يُضَمِ[6]

ولا التَمَستُ[7] غِنَى الدَّارَيْنِ من يَدِهِ

إلَّا استَلَمتُ النَّدَى[8] من خَيرِ مُستَلَمِ

---

(١) الوِقاية: الحماية.

(٢) سامني: أذاقني أسىً وألماً.

(٣) الضيم: الذُّلُّ.

(٤) استجرت: استنجدت.

(٥) جواراً: حماية.

(٦) لم يُضم: لم يُصِبْه الذُّلّ.

(٧) التمست: طلبت.

(٨) النَّدَى: الجود والكرم.

لا تُنكِرُ الوحْيَ من رُؤْياه[1] إنَّ له
قلباً متى نامتِ العَيْنانِ لم يَنَمِ

وذاكَ حينَ بُلوغٍ من نُبُوَّتِهِ[2]
فَلَيسَ يُنكَرُ فيهِ حالُ مُحتلِمِ

تباركَ اللهُ ما وحْيٌ بمكْتَسَبٍ[3]
ولا نبيٌّ على غيبٍ بمُتَّهَمِ[4]

كم أبرأَتْ وصِباً[5] باللَّمس راحتُهُ
وأطلقَتْ أرِباً[6] من رِبقَةِ[7] اللَّمَمِ[8]

---

(١) الرُّؤيا: المنام.

(٢) يعني أنَّ الوحي ثابت في المنام للأنبياء بعد إدراك النُّبوَّة.

(٣) ما وحيٌ بمكتَسَب: لا تُدركُ النُّبوَّة باجتهاد صاحبها وسعيه، وإنَّما هي فضل الله عزَّ وجلَّ يختصُّ به من يشاء من عباده.

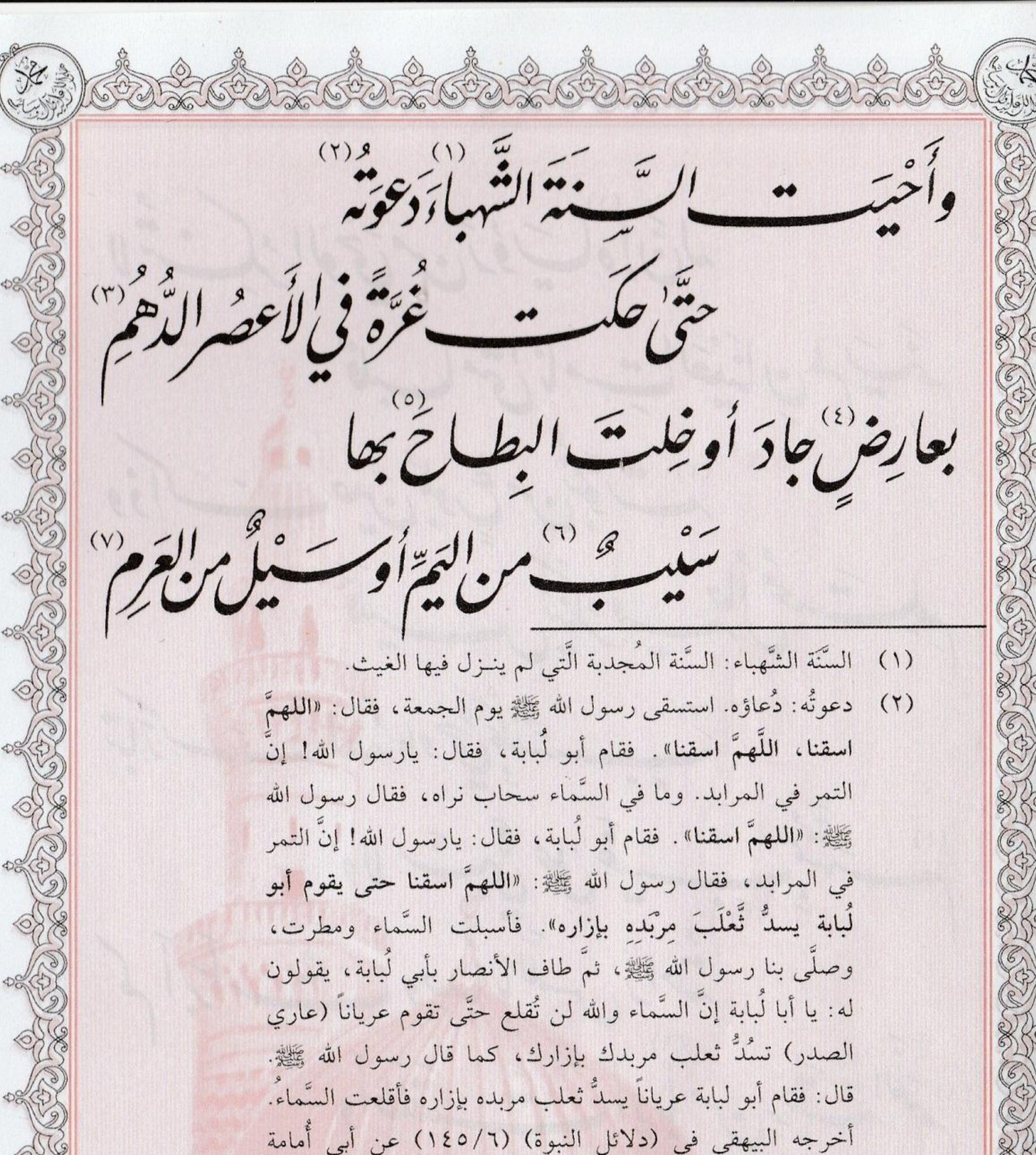
(٤) أي غير متَّهم بالكذب فيما يخبر به من الأمور الغيبيَّة.

(٥) الوَصِب: الَّذي يشكو الألم.

(٦) الأرِب: المُحتاج.

(٧) الرِّبقة: القيد.

(٨) اللَّمم: الجنون.



وأَحيَيتَ السَّنَةَ الشَّهباءَ[١] دَعوتُهُ[٢]

حتَّى حَكَتْ غُرَّةً في الأَعصُرِ الدُّهُمِ[٣]

بعارِضٍ[٤] جادَ أَو خِلتَ البِطاحَ[٥] بها

سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ[٦] أَو سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ[٧]

---

(١) السَّنَة الشَّهباء: السَّنَة المُجدبة الَّتي لم ينزل فيها الغيث.

(٢) دعوتُه: دُعاؤه. استسقى رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فقال: «**اللهمَّ اسقنا، اللَّهمَّ اسقنا**». فقام أبو لُبابة، فقال: يارسول الله! إنَّ التمر في المرابد. وما في السَّماء سحاب نراه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ اسقنا**». فقام أبو لُبابة، فقال: يارسول الله! إنَّ التمر في المرابد، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ اسقنا حتى يقوم أبو لُبابة يسدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بإزاره**». فأسبلت السَّماء ومطرت، وصلَّى بنا رسول الله ﷺ، ثمَّ طاف الأنصار بأبي لُبابة، يقولون له: يا أبا لُبابة إنَّ السَّماء والله لن تُقلع حتَّى تقوم عرياناً (عاري الصدر) تسُدُّ ثعلب مربدك بإزارك، كما قال رسول الله ﷺ. قال: فقام أبو لبابة عرياناً يسدُّ ثعلب مربده بإزاره فأقلعت السَّماءُ. أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (١٤٥/٦) عن أبي أُمامة رضي الله عنه.

(٣) الأعصُر الدُّهم: الغيم الممطر الأسود.

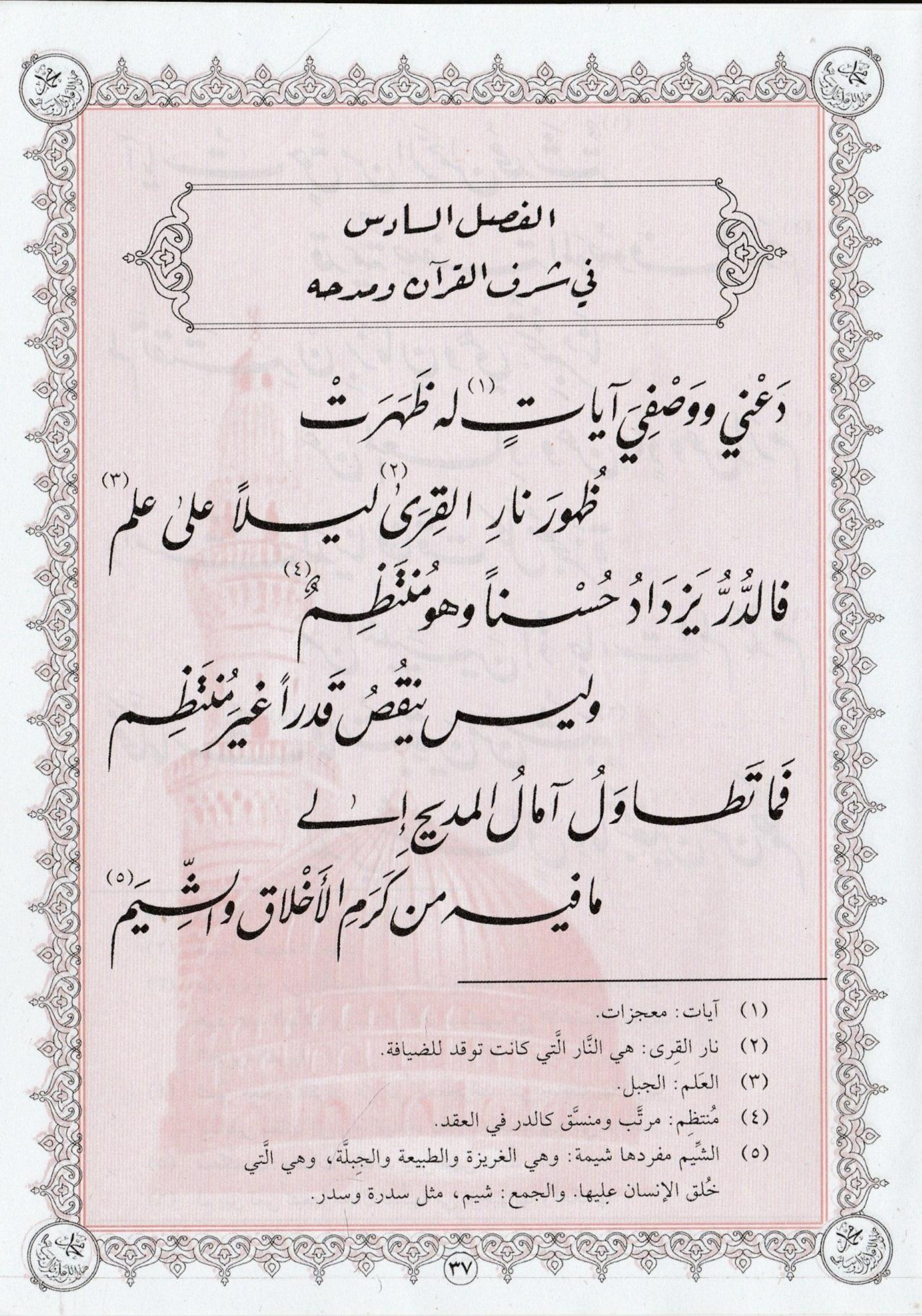
(٤) العارض: السَّحاب الممطر.

(٥) البطاح: الأمكنة المتَّسعة.

(٦) سَيْب من اليمِّ: ماء من البحر.

(٧) سَيْل العَرِم: هو السَّيل الَّذي خرَّب سبأ وأباد أهلها، قال تعالى:

﴿... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ..﴾ [سورة سبأ ١٦/٣٤].



الفصل السادس
في شرف القرآن ومدحه

دَعْني ووَصْفِيَ آياتٍ[1] له ظَهَرتْ

ظُهورَ نارِ القِرَى[2] ليلاً على علم[3]

فالدُّرُّ يَزدادُ حُسْناً وهو مُنتَظِمٌ[4]

وليس ينقصُ قدراً غيرَ مُنتَظِمِ

فَما تطاوَلُ آمالُ المديحِ إلى

ما فيهِ من كَرَمِ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ[5]

---

(١) آيات: معجزات.

(٢) نار القِرى: هي النَّار الَّتي كانت توقد للضيافة.

(٣) العَلم: الجبل.

(٤) مُنتظِم: مرتَّب ومنسَّق كالدر في العقد.

(٥) الشِّيم مفردها شيمة: وهي الغريزة والطبيعة والجِبلَّة، وهي الَّتي خُلق الإنسان عليها. والجمع: شيم، مثل سدرة وسدر.

آياتُ حقٍّ من الرَّحمن مُحدثةٌ[1]

قديمةٌ صِفةُ الموصُوفِ بالقِدمِ[2]

لم تَقترنْ بِزمانٍ وهي تُخْبِرُنا

عن المعادِ وعن عادٍ وعن إرَمِ[3]

دامتْ لدَيْنا ففاقَت كلَّ مُعجزةٍ

من النبيِّين إذْ جاءت ولم تَدُمِ[4]

مُحكَّماتٌ[5] فما تُبقِينَ من شُبَهٍ[6]

لِذي شِقاقٍ وما تَبْغينَ من حَكَمِ

---

(١) مُحْدَثَة: حديثة النُّزول عليه ﷺ.

(٢) قديمة: قديمة الوجود.

(٣) عاد وإرَم: من الأقوام الَّتي أهلكها الله عزَّ وجل، وهم قوم هود عليه الصَّلاة والسَّلام كان مسكنهم في الأحقاف جنوب الجزيرة العربية.

(٤) تتميَّز معجزة القرآن عن كلِّ المعجزات الَّتي جاءت بها الرُّسل السَّابقين ببقائها إلى يوم القيامة، بخلاف معجزاتهم الَّتي لم تَدُم.

(٥) مُحكَّمات: متقنات وبيِّنات ليس فيهنَّ شكٌّ.

(٦) لم يبق لمن تتبعها مجال للشُّبهة في توجيهاتها وأحكامها.

ما حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عادَ من حَرَبٍ

أَعْدى الأعادي إليها مُلقي السَّلَم

رَدَّتْ بلاغتُها دعْوى مُعارِضها

رَدَّ الغَيُورِ يدَ الجاني عن الحُرَمِ(1)

لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ(2)

وفَوقَ جوهرِه في الحُسنِ والقِيَمِ

فما تُعَدُّ ولا تُحْصى عجائبُها

ولا تُسامُ على الإِكْثارِ بالسَّأَمِ(3)

---

(1) إذ تحدَّى الله فصحاء العرب وبلغاءهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل سورة منه، أو بمثل آية. قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣].

(2) قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف ١٨/١٠٩].

(3) تُسام بالسَّأم: تصاب بالملل لكثرة قراءتها.

قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِمِ [(١)]

إنْ تَتْلُهَا [(٢)] خيفَةً مِن حرِّ نار لَظَى [(٣)]
أطفأْتَ حرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ [(٤)]

كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجوهُ به
مِنَ العُصاةِ وقد جاؤوه كالحُمَمِ

---

(١) اعتصم: تمسَّك. يقول رسول الله ﷺ في وصف القرآن الكريم: «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل؛ من تركه من جبَّارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصِّراط المستقيم، هو الَّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته حتَّى قالوا: ﴿.. إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ..﴾ [سورة الجنّ ١/٧٢]. من قال به صُدِّق، ومن عَمِلَ به أَجِرَ، ومن حكم به عَدَلَ ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم..».

(٢) تَتْلُها: تقرؤها.

(٣) نار لظى: نار جهنّم.

(٤) الشَّبِم: البارد.

وكالصِّراط وكالميزان مَعْدِلَةً

فالقِسطُ[1] من غيرِها في النَّاس لم يَقُمِ

لا تعجَبَنْ لحَسُودٍ راحَ يُنكِرُها

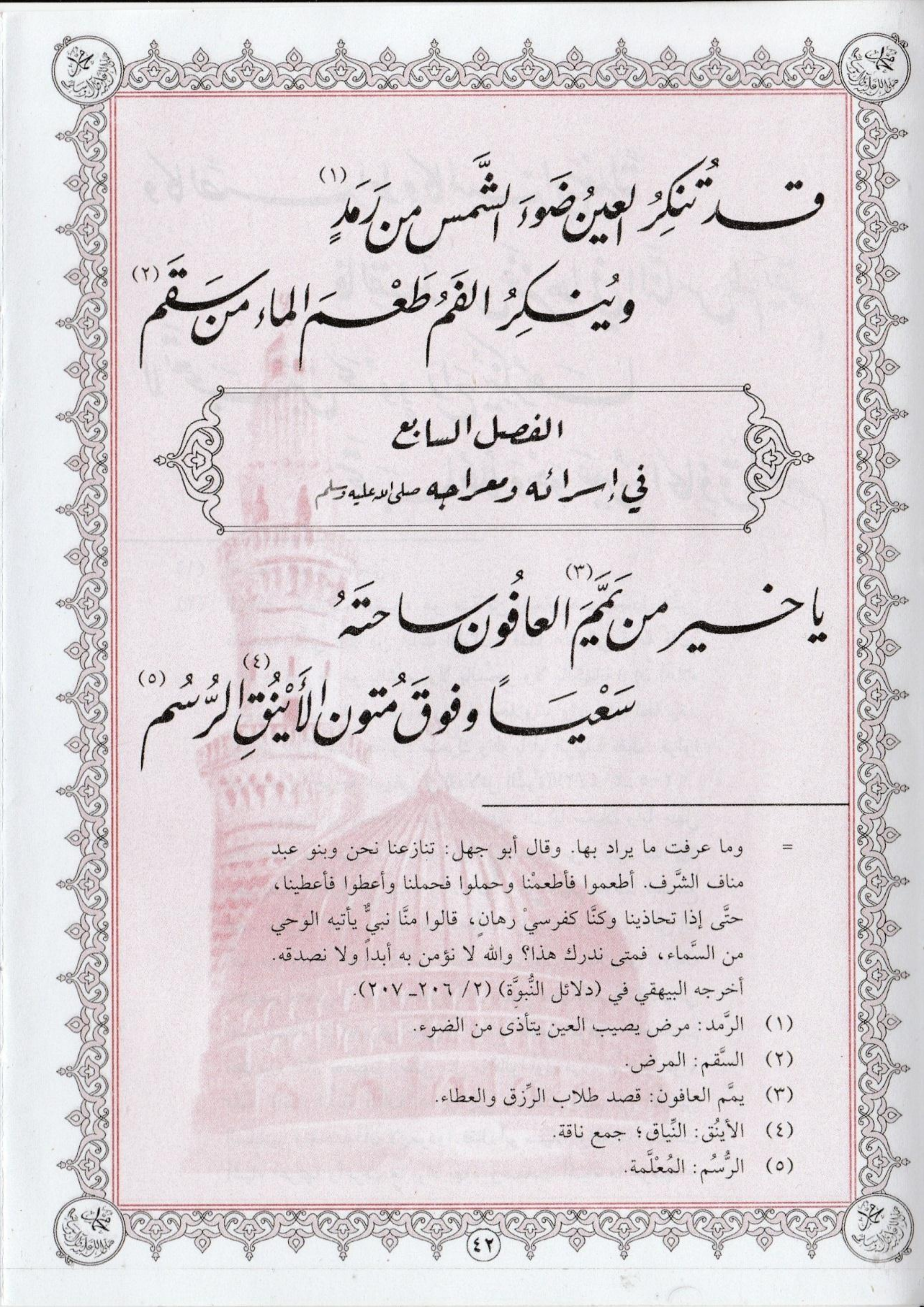
تَجاهُلاً وَهْوَ عينُ الحاذِقِ[2] الفَهِمِ

---

(١) القسط: العدل والحقّ.

(٢) الحاذق: العارف الخبير، هو عتبة بن ربيعة ذهب يجادل النَّبيَّ فأسمعه النَّبيُّ ﷺ من آيات القرآن، فلمَّا عاد إلى قومه قال: والله يا قوم ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة؛ إنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أدناه لمغدق، وإنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وما هو بقول بشر. فقالوا: سحرَكَ واللهِ يا أبا الوليد! فقال: قولوا عنه سحر. أخرجه البيهقي في ((دلائل النُّبوَّة))(٢/٢٠٤-٢٠٥)

وروى ابن إسحاق عن الزُّهري، أنَّ أبا سفيان وأبا جهل والأخنس بن شَرِيق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلِّي باللَّيل في بيته، وأخذ كلٌّ رجلٍ منهم مجلساً ليستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتَّى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا، فجمعتهم الطَّريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعضٍ لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتَّى إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعتهم الطَّريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوَّل مرَّة، ثمَّ انصرفوا، فلمَّا كانت اللَّيلة الثَّالثة عادوا إلى ما كان منهم في اللَّيلتين السَّابقتين وتعاهدوا أن لا يعودوا. فقال أبو سفيان: والله لقد سمعت أشياءَ أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفتها =



قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشَّمسِ من رَمَدٍ[1]

ويُنكِرُ الفمُ طعْمَ الماءِ من سَقَمِ[2]

الفصل السابع

في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

يا خيرَ من يَمَّمَ[3] العافُونَ ساحتَهُ

سَعْيًا وفوقَ مُتونِ الأَيْنُقِ[4] الرُّسُمِ[5]

= وما عرفت ما يراد بها. وقال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشَّرف. أطعموا فأطعمْنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتَّى إذا تحاذينا وكنَّا كفرسيْ رهانٍ، قالوا منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السَّماء، فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. أخرجه البيهقي في (دلائل النُبوَّة) (٢/ ٢٠٦ـ ٢٠٧).

(١) الرَّمد: مرض يصيب العين يتأذى من الضوء.

(٢) السَّقم: المرض.

(٣) يمَّم العافون: قصد طلاب الرِّزق والعطاء.

(٤) الأينُق: النِّياق؛ جمع ناقة.

(٥) الرُّسُم: المُعْلَّمة.

وَمَن هو الآيةُ الكُبرىٰ لمعتبرٍ
وَمَن هُو النِّعْمَةُ العُظْمىٰ لمُغتَنِمِ

سَرَيْتَ[1] مِن حَرَمٍ ليلاً إلىٰ حَرَمٍ[2]
كما سَرىٰ البَدْرُ في داجٍ مِن الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقىٰ[3] إلىٰ أَنْ نِلْتَ مَنزِلَةً
مِن قابِ قَوسَيْنِ[4] لم تُدْرَكْ[5] ولم تُرَمِ[6]

---

(١) سَرَيْتَ: سافرت ليلاً.

(٢) من حرمٍ: من مكَّة. إلى حرمٍ: إلى بيت المقدس.

(٣) تَرقى: ترتفع.

(٤) قاب قوسين: القاب: المقدار، وقوله قاب قوسين: أي مقدار قوسين من قسيٍّ العرب، أي مقدارهما في القرب، وذكر القوس لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، وقيل: ذكرَ القوس وأراد به الوتر في أحدهما للتغليب: والمعنى: القرب بمقدار ما بين الوتر والقوس، وأصله: أنَّ الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما، يريدان بذلك أنَّهما متظاهران يحمي كلٌّ واحد منهما عن صاحبه. وهو كناية عن شدَّة القُرب. قال الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/٩].

(٥) تُدرك: تُنال.   (٦) تُرَم: تُطلَب.

وقدّمتك جميعُ الأنبياءِ بها

والرُسْلِ تقديمَ مخْدومٍ على خدَم[1]

وأنتَ تخترقُ السَّبعَ الطّباقَ بهم

في موكبٍ كنتَ فيه صاحبَ العلَم[2]

حتّىٰ إذا لم تدعْ شأْواً لمستبقٍ

منَ الدُّنوِّ ولا مرْقى لمستَنِم[3]

خفضتَ كُلَّ مقامٍ بالإضافة إذْ

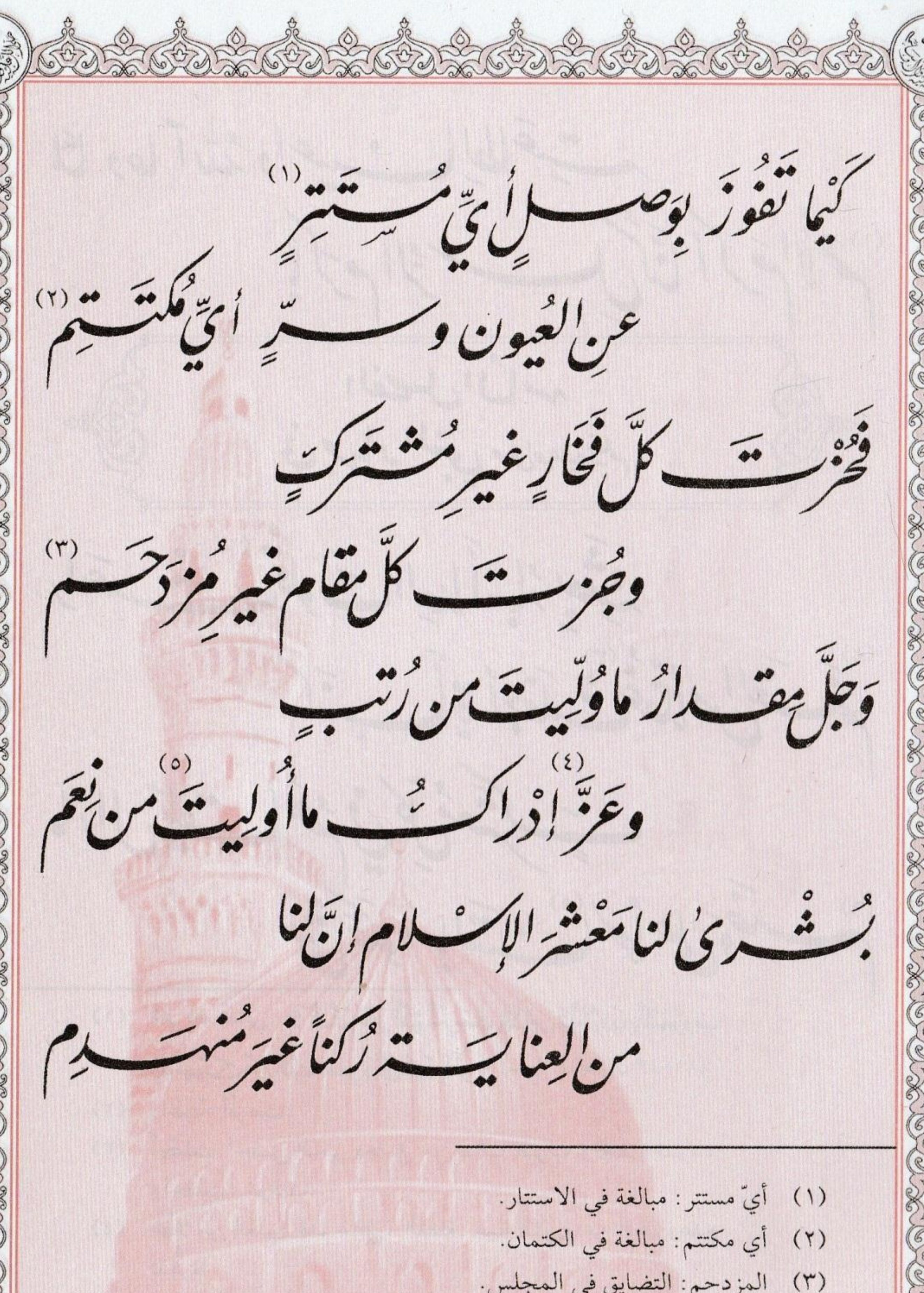
نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَم

---

(١) قال ﷺ: «دخلت أنا وجبريل بيت المقدسِ فصلَّى كلُّ واحد منَّا ركعتين، فلم ألبث إلا يسيراً حتَّى أذَّن مؤذن، فاجتمع ناس كثير وأُقيمت الصّلاة، فقمنا صفوفاً منتظرين من يؤُمُّنا، فأخذ جبريل بيدي فقدَّمني فصلَّيت بهم، فلمَّا انصرفتُ قال جبريل: أتدري من صلَّى خلفك؟ قلت: لا. قال: صلَّى خلفك كلُّ نبيّ بعثه الله».

(٢) صاحب العَلَم: أمير الركْب.

(٣) المُسْتَنِم: المرتفع.



كَيْما تفوزَ بِوصلٍ أيِّ مُستترٍ[١]

عنِ العُيون وسرٍّ أيِّ مُكتتِمِ[٢]

فَحُزْتَ كلَّ فخارٍ غيرِ مُشتَرَكٍ

وجُزتَ كلَّ مقامٍ غيرِ مُزدحمِ[٣]

وَجَلَّ مقدارُ ما وُلّيتَ من رُتَبٍ

وعزَّ[٤] إدراكُ ما أُوليتَ[٥] من نِعَمِ

بُشْرى لنا مَعْشَرَ الإسْلام إنَّ لنا

من العِنايةِ رُكناً غيرَ مُنهدِمِ

---

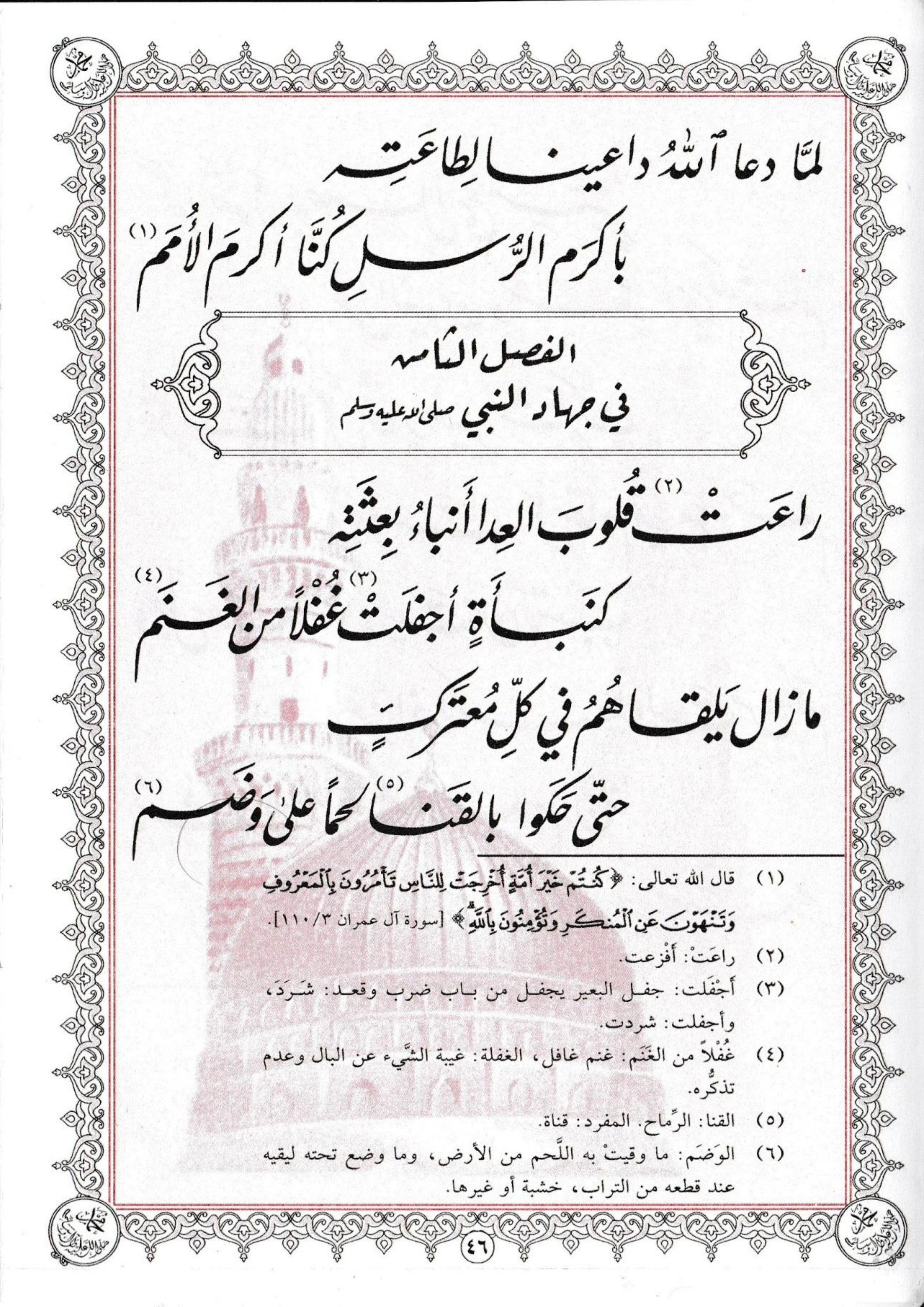
(١) أيّ مستتر: مبالغة في الاستتار.

(٢) أي مكتتم: مبالغة في الكتمان.

(٣) المزدحم: التضايق في المجلس.

(٤) عَزَّ: عزَّ الشيء يَعِزُّ: صار عزيزاً وقلَّ، فلا يكاد يوجد.

(٥) أُوليت: أُعطيت.



لمَّا دعا اللهُ داعينا لِطاعتِهِ
بأكرمِ الرُّسلِ كُنَّا أكرمَ الأُممِ[1]

الفصل الثامن
في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

راعتْ[2] قُلوبَ العِدا أنباءُ بعثتِهِ
كنبأةٍ أجفلتْ[3] غُفْلاً من الغَنَمِ[4]

ما زال يلقاهُمُ في كلِّ مُعتركٍ
حتّى حكوا بالقَنا[5] لحماً على وَضَمِ[6]

(١) قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران ٣/ ١١٠].

(٢) راعَتْ: أفْزعت.

(٣) أجْفَلت: جفل البعير يجفل من باب ضرب وقعد: شَرَدَ، وأجفلت: شردت.

(٤) غُفْلاً من الغَنَم: غنم غافل، الغفلة: غيبة الشَّيء عن البال وعدم تذكُّره.

(٥) القنا: الرِّماح. المفرد: قناة.

(٦) الوَضَم: ما وقيتْ به اللَّحم من الأرض، وما وضع تحته ليقيه عند قطعه من التراب، خشبة أو غيرها.

وَدُّوا الفِـرَارَ[1] فَكَادُوا يَغبِطُونَ[2] بِهِ

أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبانِ وَالرَّخَمِ[3]

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا

مَا لَمْ تَكُنْ مِن لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُم

بِكُلِّ قَرْمٍ[4] إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ[4]

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ[5] فَوْقَ سَابِحَةٍ[6]

يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

---

(١) ودّوا الفِرار: رغبوا بالحرب.

(٢) يغبطُون: يتمنون ما ناله غيرهم من الخير.

(٣) الرَّخَم والعِقْبان: أنواع من الطيور؛ والرَّخَم من الطيور الجلاّلة، والعُقاب من الجوارح. والمعنى تمنّى الكفّار أن لو صحّ لهم من ينقذهم من أيدي المؤمنين، كما صحّ للأجزاء المتطايرة أن تأخذها العقبان والرَّخَم.

(٤) القَرْم: السيِّد. القرِم: شديد الشَّهوة إلى اللَّحم.

(٥) الْخَميس: الجيش. يتألَّف من خمسة أقسام: المقدِّمة، المؤخِّرة، القلب، المَيمنة، الميسرة.

(٦) السَّابحة: الخيل. كأنَّها تسبح من شدَّة الجري.

مِن كلّ مُنتدِبٍ للهِ مُحتَسِبٍ

يَسطو بمُسْتأصِلٍ[1] لِلكُفْر[2] مُصطَلِمِ[3]

حتّى غدتْ ملّةُ الإسْلام وهي بِهِمْ

مِنْ بعدِ غُرْبَتها موصُولَةَ الرَّحِم

مَكفُولَةً أبداً منهم بِخَيرِ أَبٍ

وخَيرِ بَعلٍ[4] فلم تَيْتَم[5] ولم تَئِمِ[6]

هُم الجِبالُ[7] فَسَل عنهم مُصادِمَهُم

ماذا رأى منهمُ في كلّ مُصطَدَمِ

---

(١) سطا عليه وبه، يسطو سطوة: قهره وأذلّه، وهو البطش بشدَّة.

(٢) المُستأصل للشيء: هو الَّذي ينزعه من أصله.

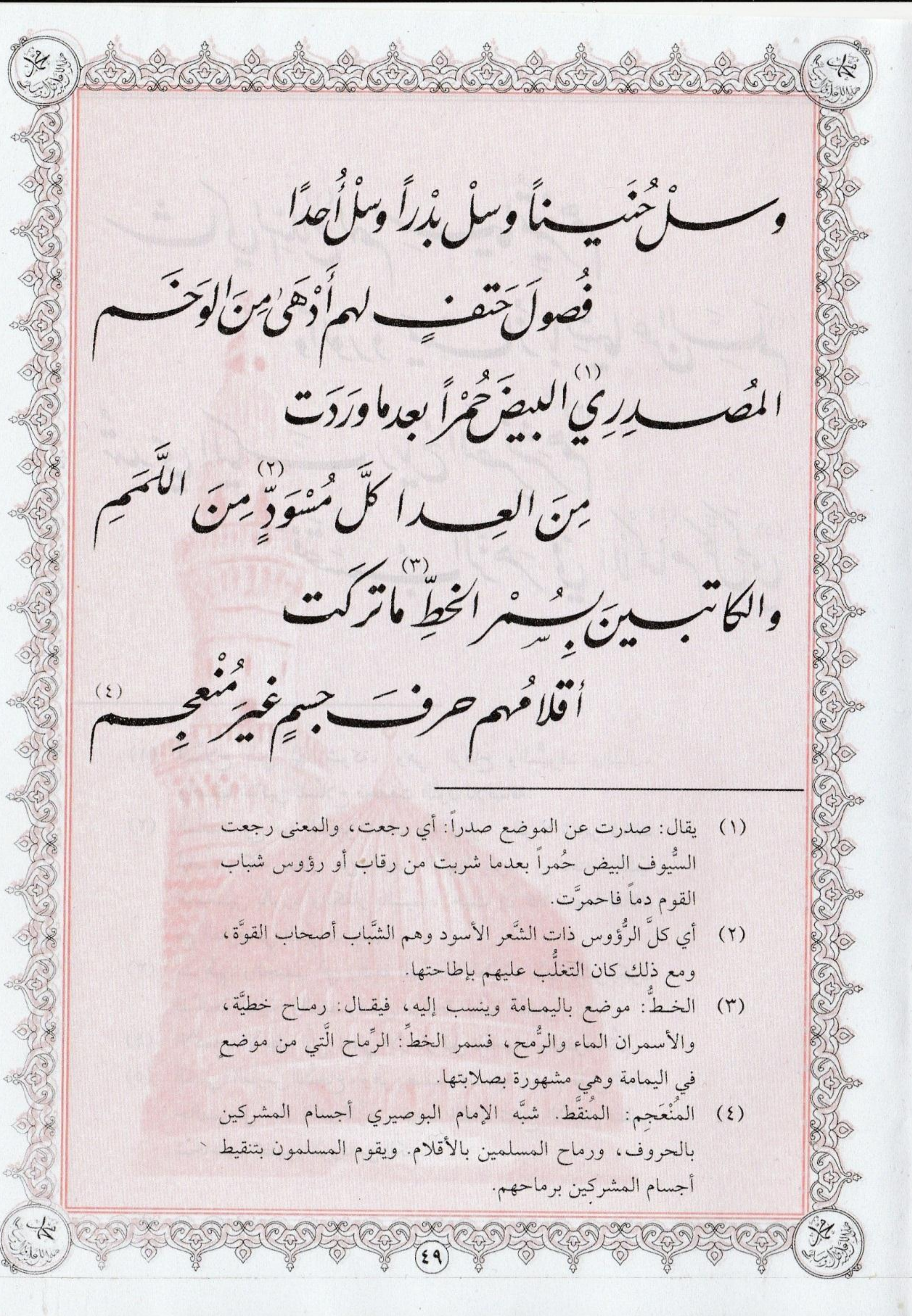
(٣) المُصْطَلِم: الَّذي يقطع الأُذن.

(٤) البَعْل: الزَّوج.

(٥) تَيْتَم: تَفقُد الأب.

(٦) تَئِم: تفقد الزَّوج. والأيِّم: من لا زوج لها.

(٧) هم الْجِبال: أي في ثباتهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف ٦١/٤].



وَسَلْ حُنَيناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُدًا

فُصُولَ حَتْفٍ لهم أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

المُصْدِرِي[1] البيضَ حُمْراً بعدما وَرَدَت

مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ[2] مِنَ اللَّمَمِ

والكاتبينَ بِسُمْرِ الخطِّ[3] ما تركَت

أَقلامُهم حرفَ جسمٍ غيرَ مُنْعَجِمِ[4]

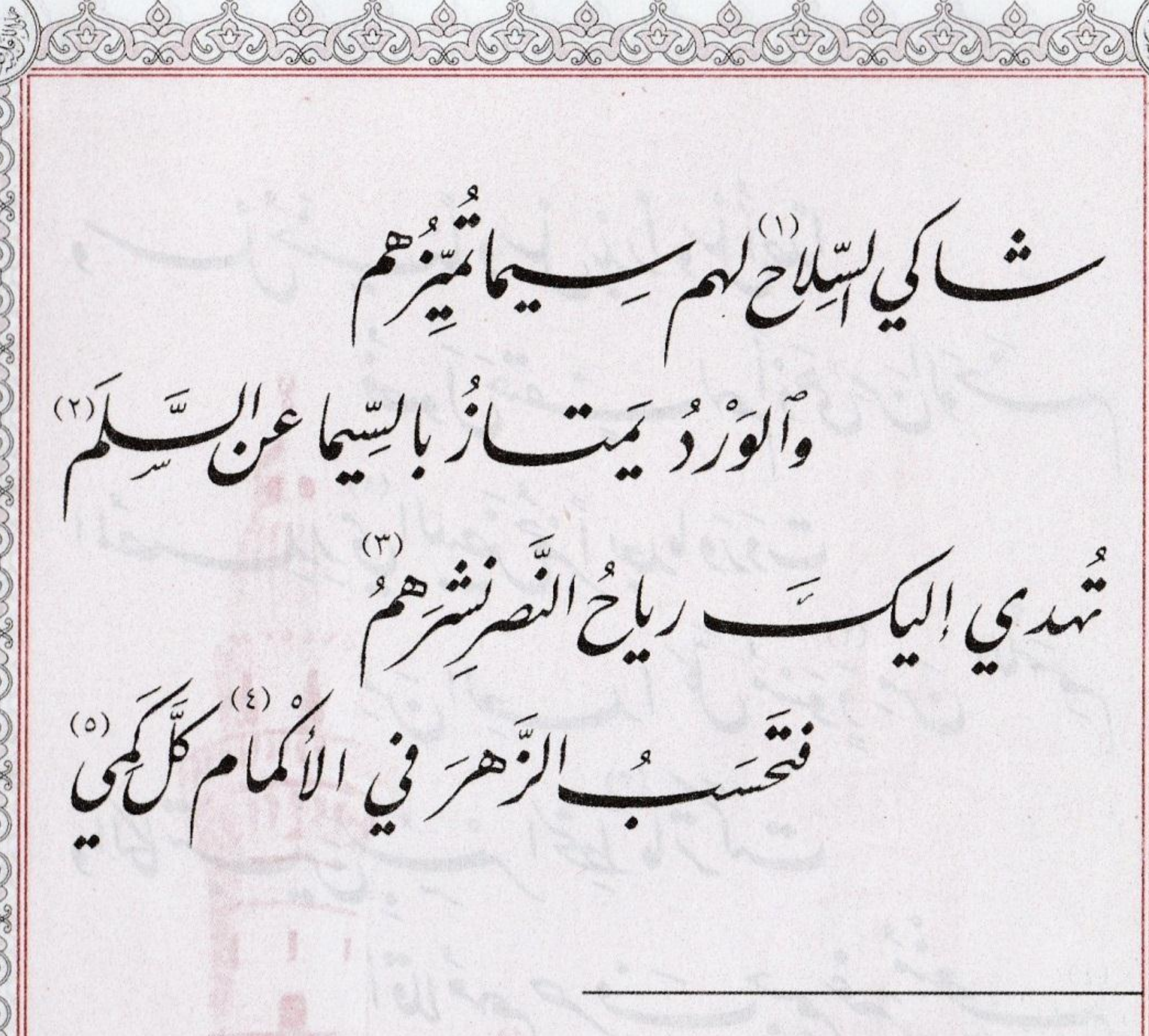
---

(١) يقال: صدرت عن الموضع صدراً: أي رجعت، والمعنى رجعت السُّيوف البيض حُمراً بعدما شربت من رقاب أو رؤوس شباب القوم دماً فاحمرَّت.

(٢) أي كلَّ الرُّؤوس ذات الشَّعر الأسود وهم الشَّباب أصحاب القوَّة، ومع ذلك كان التغلُّب عليهم بإطاحتها.

(٣) الخطُّ: موضع باليمامة وينسب إليه، فيقال: رماح خطيَّة، والأسمران الماء والرُّمح، فسمر الخطِّ: الرِّماح الَّتي من موضع في اليمامة وهي مشهورة بصلابتها.

(٤) المُنْعَجِم: المُنقَّط. شبَّه الإمام البوصيري أجسام المشركين بالحروف، ورماح المسلمين بالأقلام. ويقوم المسلمون بتنقيط أجسام المشركين برماحهم.



---

(١) السِّلاح التي لها شوكة، وهي الرِّماح والسُّيوف والنِّبال، وأصلها شاكين للسِّلاح فحذفت النُّون للإضافة.

(٢) السَّلَم: نوع من الشَّجر شائك وله زهر، والورد شجر شائك أيضاً، لكنَّه يمتاز عن شجر السِّيما بلونه ورائحته، فشبّه المسلمين بالورد والكفَّار بالسِّيما، حيث إنَّ كلاً منهما شائك مع الفارق في الميِّزات بينهما.

(٣) نشْرَهُم: رائحتهم. أي رائحة الصَّحابة الطيِّبة، لأنَّ النَّشر يكون للرَّائحة الطيِّبة، والمقصود من الرَّائحة الطيِّبة النَّصر.

(٤) الأكْمام: الأغطية الَّتي تغطي الأزهار قبل تفتُّحها، والمفرد: كُمّ.

(٥) الكَمي: الفارس الشُّجاع، وهو وصف للصَّحابة الكرام. فقبل القتال حالهم مثل حال الكم للزَّهر، وعند القتال تتفتَّح الأكمام فتظهر شجاعتهم كظهور الورد من الكم.

كأنَّهمْ في ظُهورِ الخيلِ نَبْتُ رُباً (١)

مِن شِدَّةِ الحَزمِ (٢) لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ (٣)

طارتْ قلوبُ العِدا مِنْ بأْسهم (٤) فَرَقاً (٥)

فما تُفرِّق بينَ البَهْمِ (٦) والبُهُمِ (٧)

---

(١) الرُّبى بالألف المقصورة جمع ربوة ورابية: وهي المكان المرتفع من الأرض، لأنَّها ربت فعلت، وفيه تشبيه لركوب الصَّحابة على ظهور الخيلِ، بالنَّبات الَّذي يعلو الرَّابية، أو الرَّوابي بجامع الاستقامة في كلٍّ منهما، وذلك دلالة على جودة فروسيَّتهم.

(٢) الْحَزْم: الثَّبات على ظهور الخيل.

(٣) الْحُزُم: جمع حزام: وهي ما يشدُّ به سرج الفرس ونحوها.

(٤) بأْسهم: قوَّتهم.

(٥) فَرَقاً: خوفاً.

(٦) البَهْم: صغار الغنم، واحدته: بَهْمَة، وهي السَّخْلة.

(٧) البُهُم: جمع بُهْمَةٍ، وهو البطل الشُّجاع، والمراد أنَّ الكفَّار لمَّا طاشت عقولهم بسبب الخوف من الصَّحابة ما صرت تميِّز بين الشُّجاع والسَّخلة.

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجامِها[1] تَجِمِ[2]

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ[3]

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ[4]
كَاللَّيْثِ[5] حَلَّ مَعَ الأَشْبالِ[6] فِي أَجَمِ[7]

---

(١) الآجام: جمع الجمع، والأُجُم بضمَّتين: الحصن وجمعه آجام. مثل عنق وأعناق.

(٢) تجِم: تُمسك على غيظ. والماضي: وَجَمَ. وكان الأمير عبد القادر الجزائري يكتب هذا البيت على رايته أثناء جهاده ضدَّ الفرنسيين.

(٣) مُنقَصِم: منقطع ومتفرِّق، أي: انقطع عن تفرُّق وبعثرة من رفاقه.

(٤) الحِرْز: الوِقاء والحفظ، وهو الحصن. والملَّة: الدِّين، شبَّه الدين بالحصن المنيع، كالأسد مع أشباله حين يوجد في آجامه وحصنه، فالنَّبيُّ ﷺ هو الأسد، والأُمَّة هي الأشبال، والحصن المنيع هو الدِّين.

(٥) اللَّيث: الأسد.

(٦) الأشْبال: جمع شِبْل: وهو ابن الأسد.

(٧) أجَم: جمع أجَمَة: الشَّجر المُلتف المتداخل.



كم جَدَّلتْ كلماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ[1][2]

فيه وكم خَصَمَ البُرهانُ مِن خَصِمِ[3][4]

كَفاكَ بالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعجِزَةً

في الجاهليَّةِ والتَّأْديبِ في اليُتُمِ[5]

الفصل التاسع

في التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وسلم

خَدمتُهُ بمديحٍ أَستَقيلُ بِهِ[6]

ذُنوبَ عُمرٍ مضَى في الشِّعرِ والخِدَمِ

---

(١) جدَّلت: جدَّل: صرع. والجدالة: الأرض. فجدَّلت: من التجديل وهو الصَّرع على الأرض، والمعنى: كلمات الله ذات الحجَّة الدَّامغة أفحمت من كان كثير الجدال والخصومة.

(٢) الْجَدِل: كثير الجدال.

(٣) خَصَمَ: أفحم وأحجَّ.

(٤) الْخَصِم: شديد الخصومة.

(٥) أي يكفيه معجزة ودلالة على صدق رسالته ونبوَّته أنَّ علومه ثابتة ـ وهو أُمِّيٌّ في أيَّام الجاهليَّة ـ وآدابه عالية رغم أنَّه رُبِّي يتيماً.

(٦) أستقيل به: أي أطلب العفو به.

إذْ قلّدانِيَ ما تُخشَى عواقبُهُ[1]

كأنَّني بهما هَدْيٌ[2] من النَّعم[3]

أطعتُ غيَّ[4] الصِّبا في الحالتَيْنِ[5] وما

حصلتُ إلّا على الآثام والنَّدم

فيا خسارةَ نفسٍ في تجارتها

لم تشترِ الدِّين بالدُّنيا ولم تَسُم[6]

---

(١) أي الشِّعر والخدم، وإذ للتعليل، أي إنَّ الشِّعر والخِدم ربطا في عنقي قلادة الإثم بسبب مدح من لا يستحقُّ المدح وذمّ من لا يستحقُّ الذَّمّ، وقلادة الإثم هي الَّتي يخشى عاقبتها.

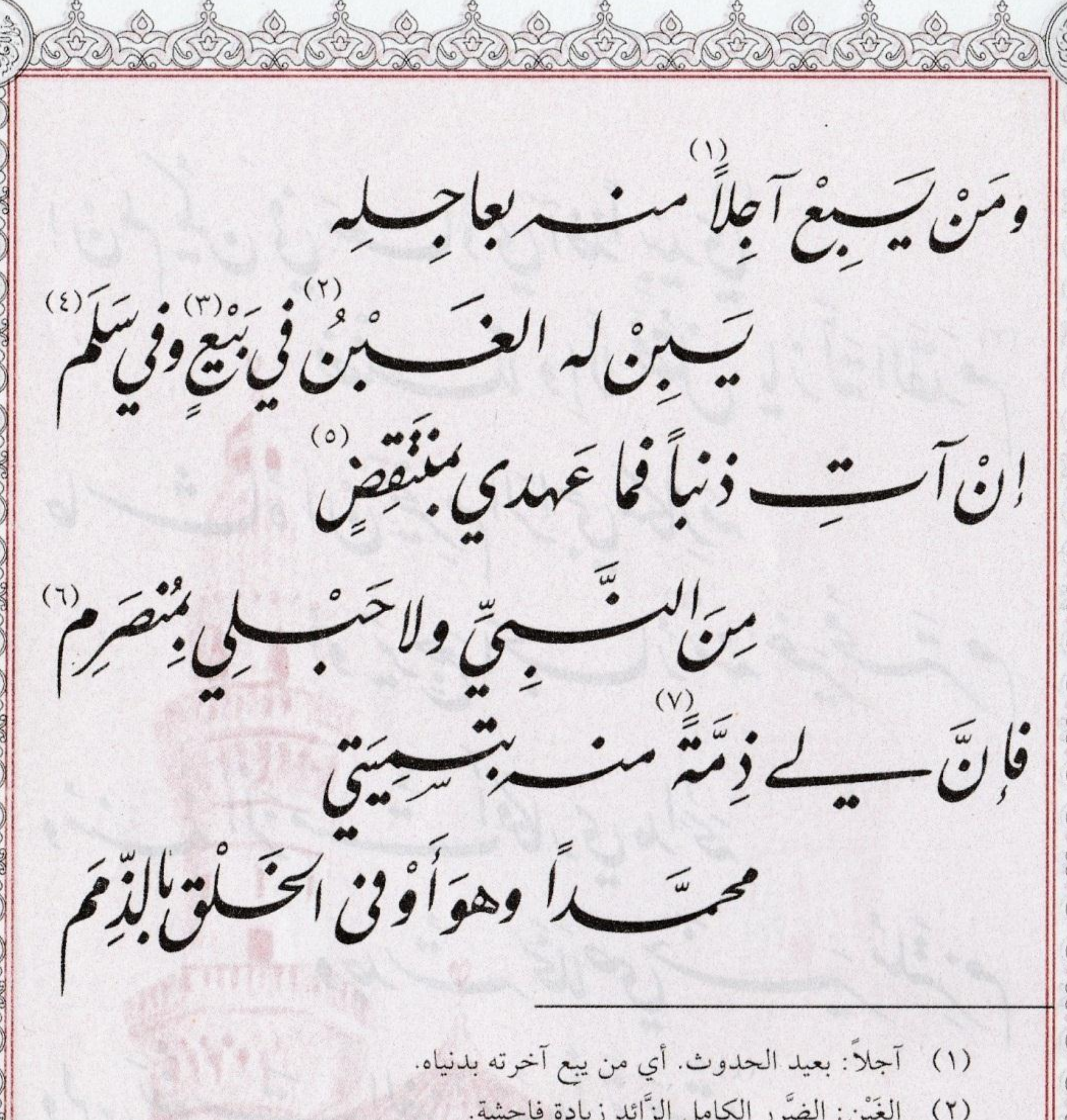
(٢) الْهَدْي: ما يُهدى إلى الحَرَم ليذبح.

(٣) شبَّه نفسه بما يُهدى في مكَّة من الأنعام، فهو يخشى أن يكون مثلها ضحيَّة في عاقبة أمره.

(٤) الغيّ: الضَّلالة. وغي الصِّبا: هو أشدُّ أنواع الضَّلالة، لأنَّه يندفع مع هوى نفسه وليس له رادع.

(٥) أي: في حالة الشِّعر والخدم.

(٦) تسُم: سامَ البائع السِّلْعة: عرضها للبيع. وسامَها المُشتري: طلب شراءها. والمصدر: السَّوْم. وفي هذا البيت مبالغة في التَّحسُّر والنَّدم، حيث لم يدفع الدُّنيا ثمناً لدينه.



وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً[١] مِنهُ بِعاجِلِهِ

يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ[٢] في بَيْعٍ[٣] وفي سَلَمِ[٤]

إنْ آتِ ذَنباً فَما عَهدي بِمُنتَقِضٍ[٥]

مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبْلِي بِمُنصَرِمِ[٦]

فإنَّ لي ذِمَّةً[٧] مِنهُ بِتَسمِيَتي

مُحمَّداً وهوَ أوْفى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

---

(١) آجلاً: بعيد الحدوث. أي من يبع آخرته بدنياه.

(٢) الغَبْن: الضَّرر الكامل الزَّائد زيادة فاحشة.

(٣) وهو يداً بيد.

(٤) السَّلَم: نوع من البيع يؤجَّل فيه دفع الثَّمن، أي بيع عاجل بآجل.

(٥) المُنْتَقِض: المَقطوع. ولمَّا وصف انغماس نفسه بأوزاره، وخسارته في تجارته، وعدم تحصيله ما ينفعه في دار القرار، يشرع في تسلية نفسه، وتأنيس وحشتها، في بيان ما يكون سبباً بمغفرة تلك الذُّنوب.

(٦) المُنْصَرِم: المُنقطع، وذلك أنَّ عهده من النَّبيِّ غير منقوصٍ، بل يريد الوفاء به، بالتزامه للتوحيد والدِّين والعقائد، وليس سبب ارتباطه بالنَّبيِّ بمنقطع.

(٧) الذِّمَّة: العهد.

إنْ لم يكُن في مَعادي آخذاً بِيدي[1]

فضلاً وإلاَّ فقُلْ يا زلَّةَ القدَم[2]

حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجي مكارِمَه

أو يَرجِعَ الجارُ[3] منه غيرَ مُحترَم

ومُنذُ ألْزمتُ أفكاري مدائحَه

وجدتُه لخلاصي خيرَ مُلتزِم

ولن يَفُوتَ الغِنَى منه يداً تَرِبَتْ[4]

إنَّ الحَيَا[5] يُنبِتُ الأزْهارَ في الأكَم[6]

---

(١) أي إن لم يأخذ بيدي في آخرتي تفضُّلاً لا بعملي.

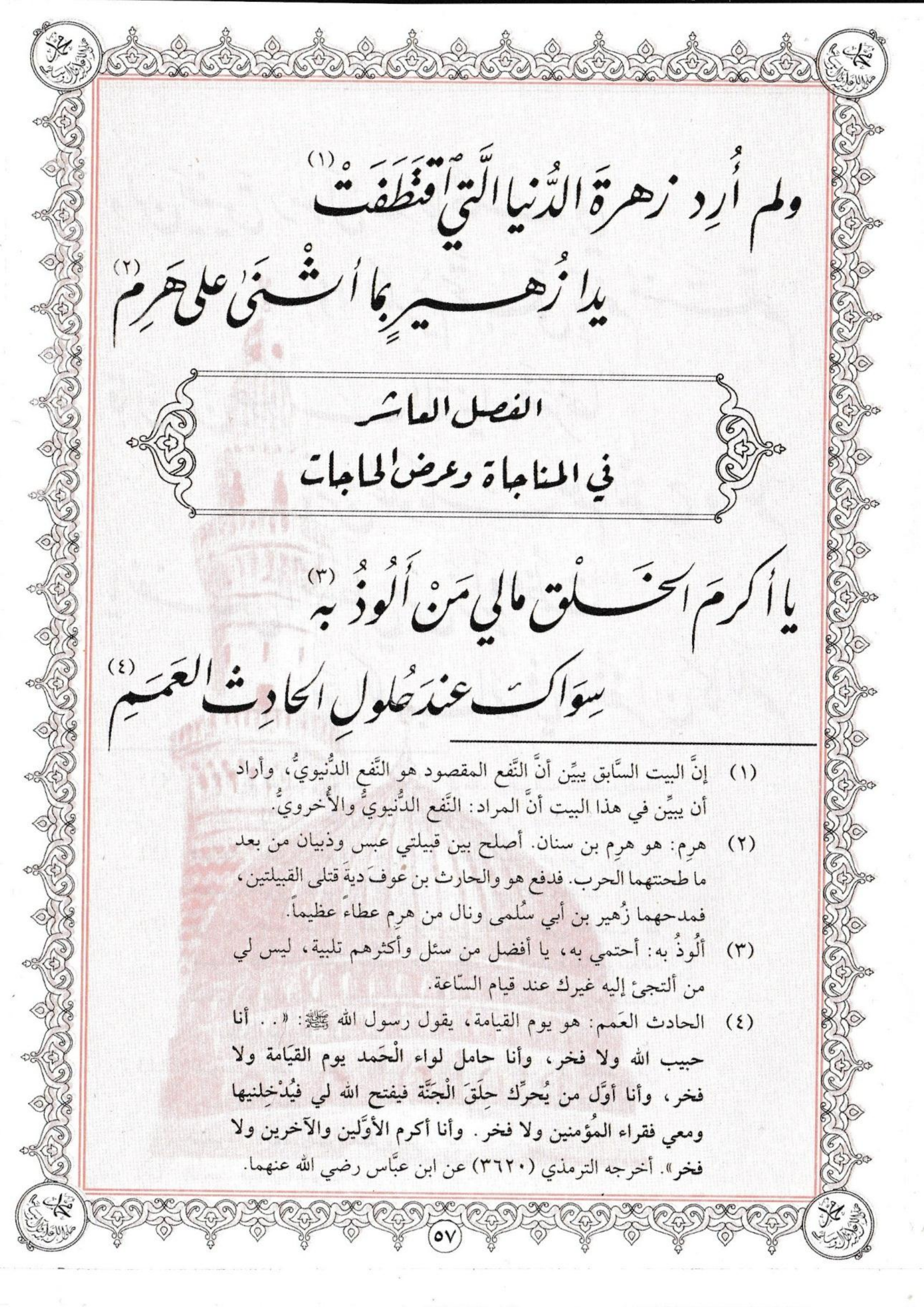
(٢) أي بسبب وقوعي في المهالك.

(٣) الْجَار: الْمُستجير.

(٤) ترِبَتْ: افتقرت.

(٥) الْحَيَا: المطر والغيث.

(٦) والمقصود تشبيه جوده بالجود الَّذي فيه النَّفع العام، وسواء أكان صاحبه مستحقّاً أم غير مستحقّ، وفيه إشارة إلى أنَّه رحمةٌ للعالمين.



ولم أُرِدْ زهرةَ الدُّنيا الَّتي اقتَطَفَتْ (١)

يدا زُهيرٍ بما أثْنَى على هَرِمِ (٢)

الفصل العاشر
في المناجاة وعرض الحاجات

يا أكرمَ الخَلْقِ مالي مَنْ ألُوذُ به (٣)

سِواكَ عندَ حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ (٤)

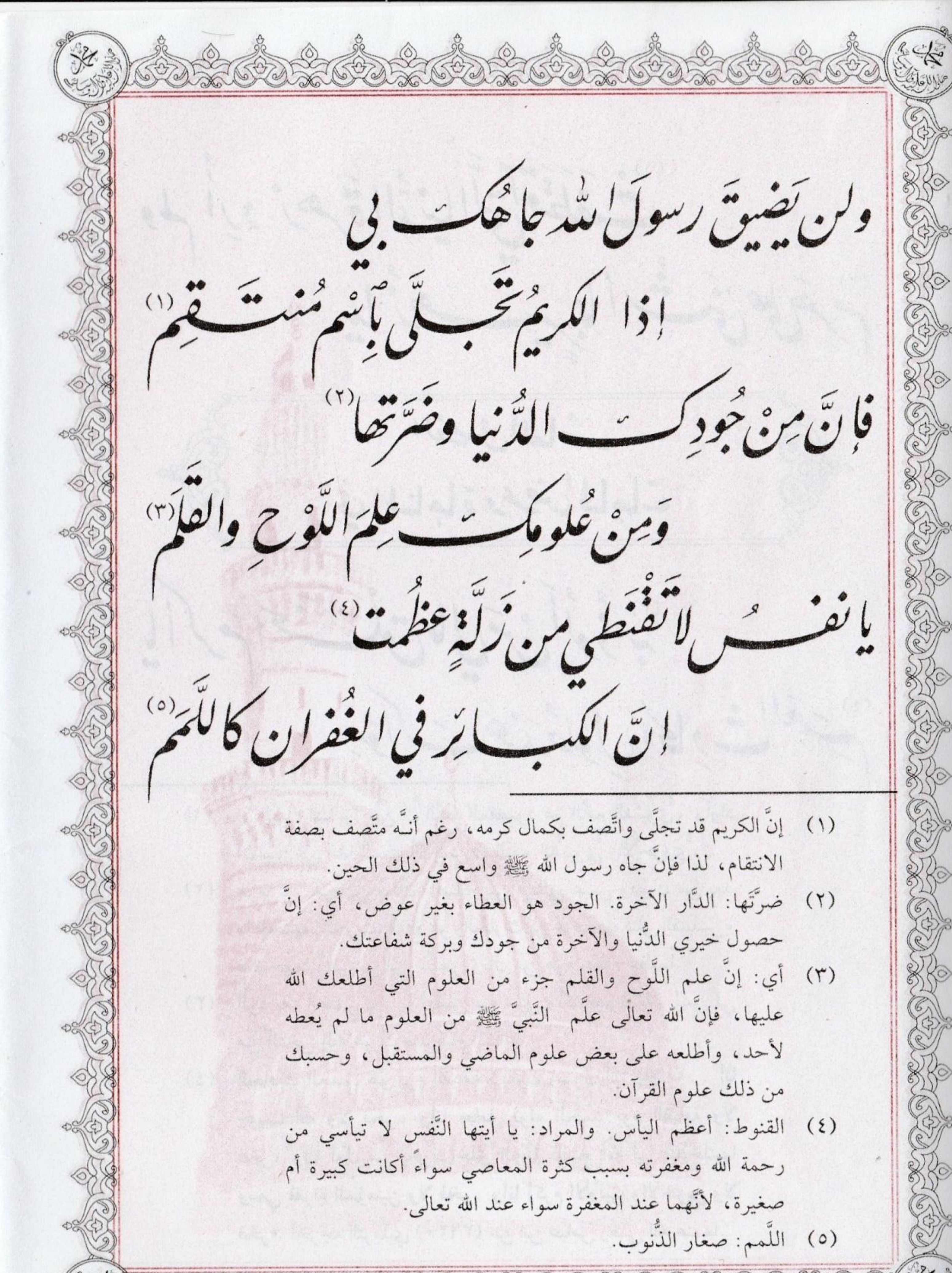
---

(١) إنَّ البيت السَّابق يبيِّن أنَّ النَّفع المقصود هو النَّفع الدُّنيويُّ، وأراد أن يبيِّن في هذا البيت أنَّ المراد: النَّفع الدُّنيويُّ والأُخرويُّ.

(٢) هرِم: هو هرِم بن سنان. أصلح بين قبيلتي عبس وذبيان من بعد ما طحنتهما الحرب. فدفع هو والحارث بن عوف ديةَ قتلى القبيلتين، فمدحهما زُهير بن أبي سُلمى ونال من هرِم عطاءً عظيماً.

(٣) ألُوذُ به: أحتمي به، يا أفضل من سئل وأكثرهم تلبية، ليس لي من ألتجئ إليه غيرك عند قيام السّاعة.

(٤) الحادث العَمم: هو يوم القيامة، يقول رسول الله ﷺ: «.. أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الْحَمد يوم القيَامة ولا فخر، وأنا أوَّل من يُحرِّك حِلَقَ الْجَنَّة فيفتح الله لي فيُدْخِلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر. وأنا أكرم الأوَّلين والآخرين ولا فخر». أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.



وَلن يَضيقَ رسولَ اللهِ جاهُكَ بي

إذا الكريمُ تَجلَّى بِٱسْمِ مُنتَقِمِ[1]

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتها[2]

ومِنْ عُلومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقلَمَ[3]

يا نفسُ لا تَقْنَطي من زَلَّةٍ عظُمَت[4]

إنَّ الكبائِرَ في الغُفرانِ كاللَّمَمِ[5]

---

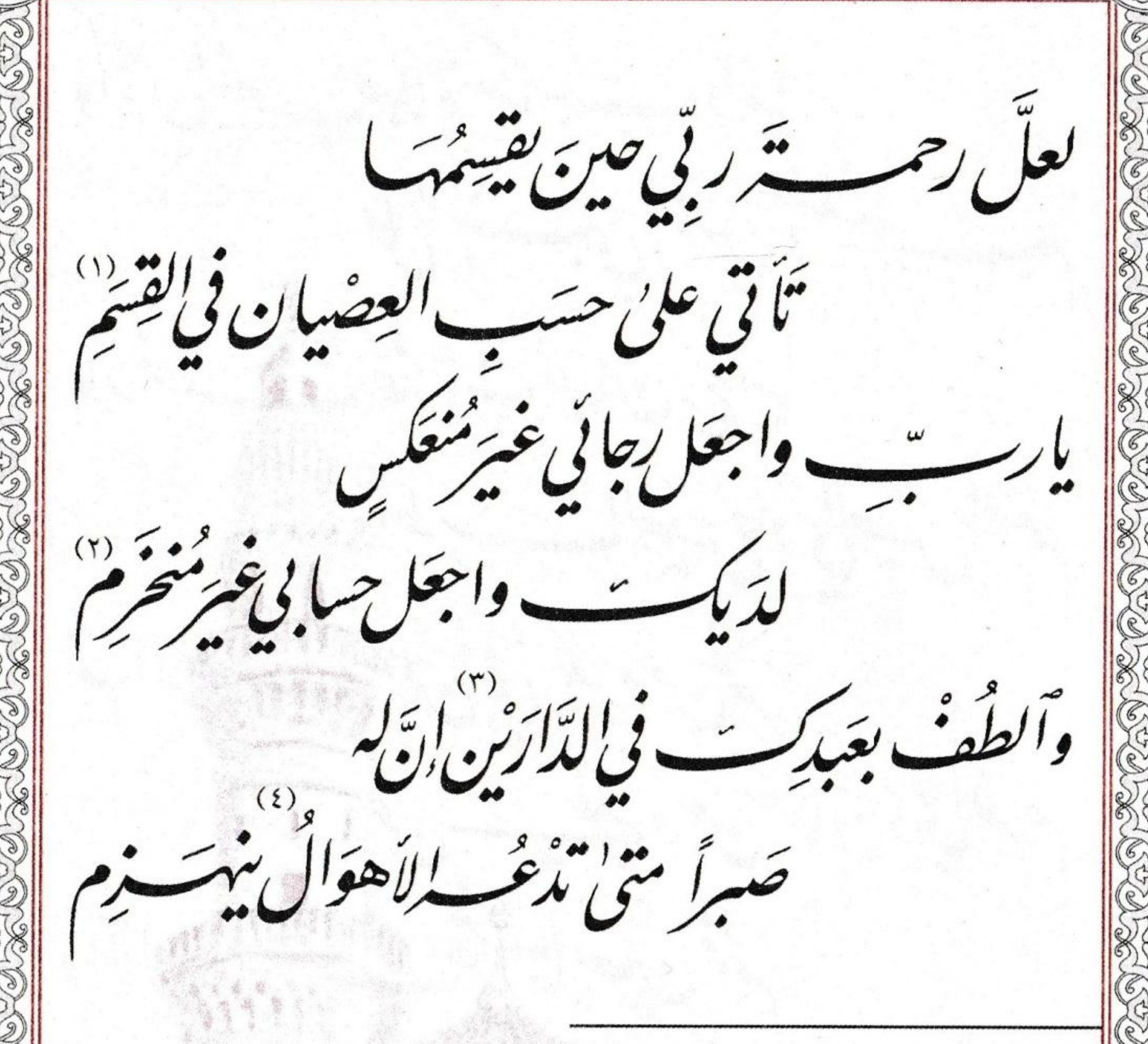
(١) إنَّ الكريم قد تجلَّى واتَّصف بكمال كرمه، رغم أنَّه متَّصف بصفة الانتقام، لذا فإنَّ جاه رسول الله ﷺ واسع في ذلك الحين.

(٢) ضرَّتها: الدَّار الآخرة. الجود هو العطاء بغير عوض، أي: إنَّ حصول خيري الدُّنيا والآخرة من جودك وبركة شفاعتك.

(٣) أي: إنَّ علم اللَّوح والقلم جزء من العلوم التي أطلعك الله عليها، فإنَّ الله تعالى علَّم النَّبيَّ ﷺ من العلوم ما لم يُعطه لأحد، وأطلعه على بعض علوم الماضي والمستقبل، وحسبك من ذلك علوم القرآن.

(٤) القنوط: أعظم اليأس. والمراد: يا أيتها النَّفس لا تيأسي من رحمة الله ومغفرته بسبب كثرة المعاصي سواءً أكانت كبيرة أم صغيرة، لأنَّهما عند المغفرة سواء عند الله تعالى.

(٥) اللَّمم: صغار الذُّنوب.



---

(١) بعدَ أن فتح باب الرَّجاء واسعاً في البيت السَّابق أراد أن يبيِّن في هذا البيت أن الأمر مرهون بالمشيئة بلفظ (لعلَّ).

(٢) الْمُنخَرِم: الْمُنقطع والْمَثقوب، لما بيَّن في البيت السَّابق أنَّ الأمر مرهون بالمشيئة، لجأ إلى الرَّجاء في قبول الدُّعاء لسلامة العاقبة.

(٣) اللُّطف هو الإحسان الخفي الَّذي ليس له سبب واضح. يرجو المؤلف أن يمنحه الله لطفه الشَّاملَ في الدُّنيا والآخرة لأنَّه مهما كان عنده من الصَّبر عند اشتداد الأمر لا بدَّ من أن ينهزم صبره ويشتدَّ عذابه.

(٤) الأهوال: المَصائب.

وأذن لسحب صلاةٍ منك دائمةٍ

على النبيِّ بمنهلٍ[1] ومُنسجِمِ

ما رنَّحتْ[2] عذبات البان ريح صَبا[3]

وأطربَ العيسَ[4] حادي[5] العيس بالنَّغمِ

ثم الرِّضا عن أبي بكرٍ وعن عُمرَ

وعن عليٍ وعن عُثمانَ ذي الكرم

والآلِ والصَّحب ثُمَّ التابِعين فَهُم

أهلُ التُّقى والنَّقا والحِلْمِ والكرمِ

---

(١) المُنْهَلّ: السَّائل والمُنصبّ بشدَّة. المُنسجم: السَّائل برفقٍ وهدوء.

(٢) ما رنَّحت: كلما أمالَتْ. عَذَبات البان، العذبات: الأطراف المائلة من أغصان البان تشبيهاً بعذبات العمَّة.

(٣) الصَّبا: ريح تهبُّ من مطلع الشَّمس إذا استوى اللَّيل والنَّهارِ. وقيل: الصَّبا تسمَّى القبول وهي تنفِّسُ عن المكروب.

(٤) العِيس: الإبل البيض، في بياضها ظلمة خفيفة.

(٥) الحادي: هو الَّذي يُغنِّي للإبل أثناء سفرها فتُطْرَب وتجدُّ في السَّير فلا تشعر بالتَّعب.

يا ربِّ بالمصطفى بلِّغْ مقاصِدَنا

واغفِرْ لنا ما مضى يا واسِعَ الكرَمِ

واغفِرْ إلهي لكلِّ المسلمينَ بما

يتلُوه في المسْجِدِ الأقْصى وفي الحَرَمِ

بِجاهِ مَنْ بيتُه في طَيْبةٍ حَرَمٌ

واسْمُه قَسَمٌ مِنْ أعْظَمِ القَسَمِ

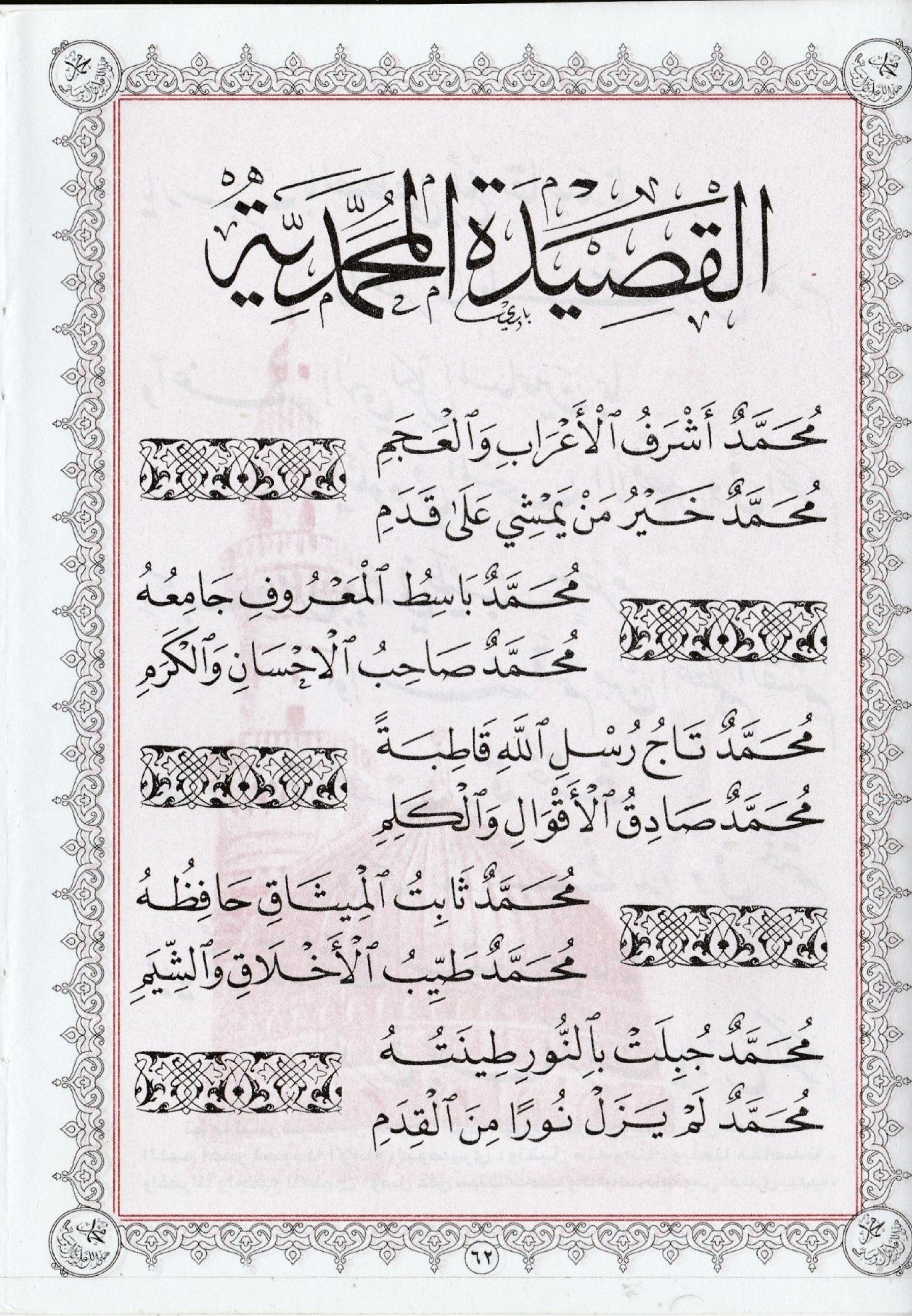
وهذه بُردةُ المختارِ قد خُتِمَتْ

والحمدُ للهِ في بدْءٍ وفي ختَمِ

أبياتُها قد أتَتْ ستّينَ مع مائةٍ

فرِّجْ بها كربَنا يا واسعَ الكرَمِ

تمَّ ما تيسَّر شرحه من مفردات أبيات البردة الشريفة وبيان بعض معانيها.
اللهم اغفر لسيدنا الإمام البوصيري ، وتقبل منه ومنَّا ، وبلِّغنا مقاصدنا ، واغفرلنا ولجميع المسلمين ، وصلِّ على سيدنا محمدٍ وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه.



القَصِيدَةُ المُحَمَّدِيَّةُ

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ ٱلْأَعْرَابِ وَٱلْعَجَمِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُحَمَّدٌ بَاسِطُ ٱلْمَعْرُوفِ جَامِعُهُ
مُحَمَّدٌ صَاحِبُ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْكَرَمِ

مُحَمَّدٌ تَاجُ رُسْلِ ٱللَّهِ قَاطِبَةً
مُحَمَّدٌ صَادِقُ ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْكَلِمِ

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ ٱلْمِيثَاقِ حَافِظُهُ
مُحَمَّدٌ طَيِّبُ ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلشِّيَمِ

مُحَمَّدٌ جُبِلَتْ بِٱلنُّورِ طِينَتُهُ
مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُورًا مِنَ ٱلْقِدَمِ

مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ
مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الْإِنْعَامِ وَالْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللَّهِ كُلِّهِمِ

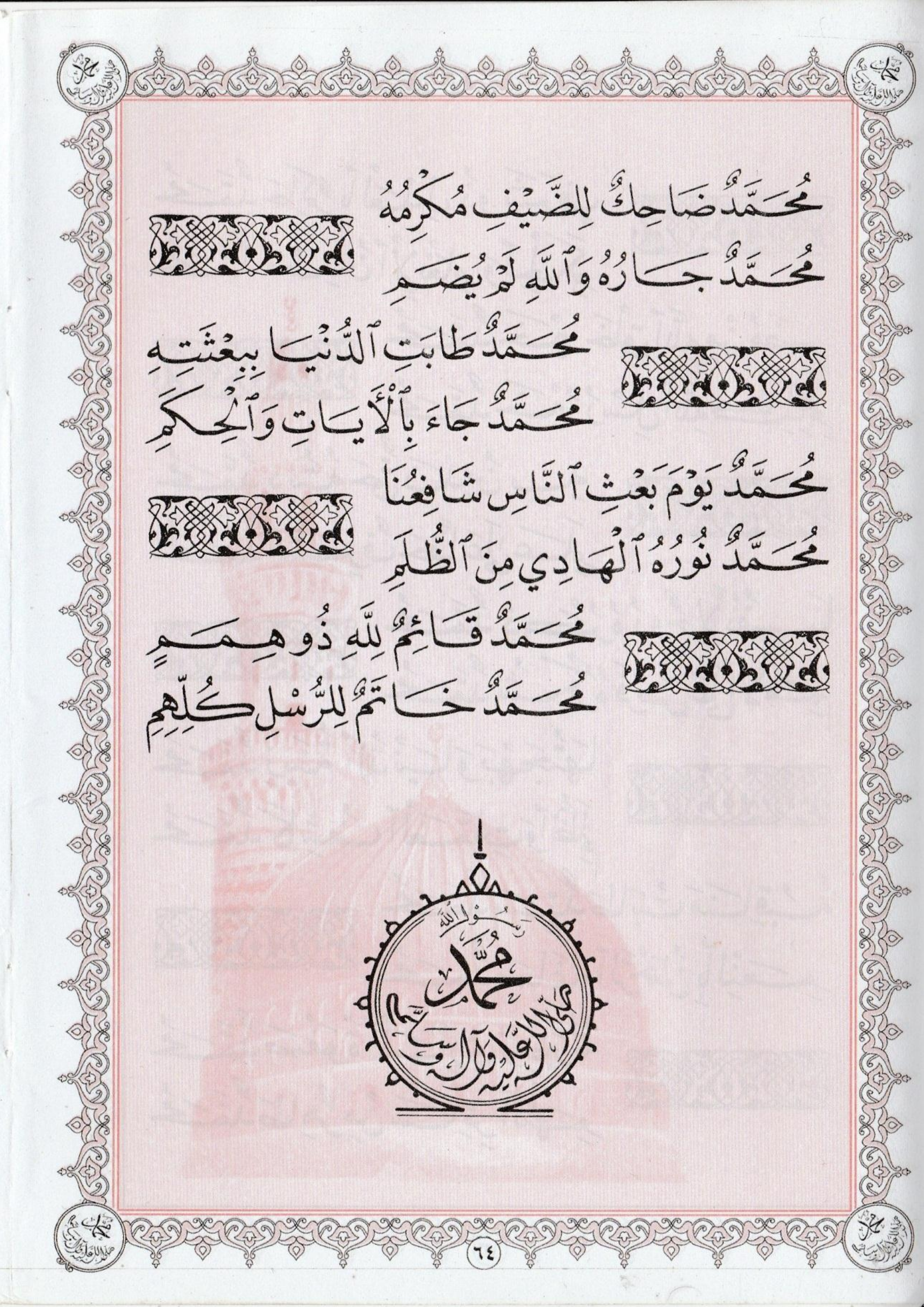
مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقٌّ نَدِينُ بِهِ
مُحَمَّدٌ مُشْرِفٌ حَقًّا عَلَى عَلَمِ

مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لِأَنْفُسِنَا
مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الْأُمَمِ

مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
مُحَمَّدٌ صَاغَهُ الرَّحْمَٰنُ بِالنِّعَمِ

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخِيرَتُهُ
مُحَمَّدٌ طَاهِرٌ مِنْ سَائِرِ التُّهَمِ



مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ
مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَٱللَّهِ لَمْ يُضَمِ

مُحَمَّدٌ طَابَتِ ٱلدُّنْيَا بِبِعْثَتِهِ
مُحَمَّدٌ جَاءَ بِٱلْآيَاتِ وَٱلْحِكَمِ

مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَعْثِ ٱلنَّاسِ شَافِعُنَا
مُحَمَّدٌ نُورُهُ ٱلْهَادِي مِنَ ٱلظُّلَمِ

مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُو هِمَمٍ
مُحَمَّدٌ خَاتَمٌ لِلرُّسْلِ كُلِّهِمِ


ISBN 978-9933-400-07-1